مغامرات

أرسين لوبين

البيت الأسود



٥٠ مليما

الفصل الأول

جلس مارتن ديل قرب المدفأة يصطلي في هذا اليوم الشديد القر من ايام شهر يناير وهو متردد لا يقر له قرار: ايخرج الى نيويورك في هذا الطقس العاصف الممطر المكفهر التماسا للتسلية واللهو، ام يقبع في داره ايثارا للدعة والسكينة والدفء ..

وانه لكذلك اذ رن جرس التليفون .. واذا المتكلم صديقه (نورن) المحامي الشيخ .. ومن عجب انه راح يكلمه في نبرات تشف عن ابلغ الانفعال وقد عهده مارتن ديل ابدا مثال الرصانة والجمود، فلم يتمالك ان ساله :

– ماذا دهاك يا صاحبي ؟ هل مرضت زوجتك ؟

فاجاب (نورن) سلبا في صوت اجش لاهث وكانه كان يركض، فقال له مارتن ديل :

– اين كنت بحق الشيطان ؟ . اني قابلت (آن) امس فعلمت منها انها لم تراك منذ اسبوع .. وصحيح ان زوجتك اعتادت اهمالك في تلك المشاغل القضائية التي لا نهاية لها، ولكن غيابك اسبوعا كاملا ....

– اصغ الي يا مارتن، ولا تضيع وقتي ! . انا في اشد الحاجة الى مساعدتك .. فهل يمكنك مقابلتي على الرصيف رقم ٥٤ في خلال نصف ساعة ؟

– طبعا ..

فغمغم نورن كمن يحمد الله او يتنفس الصعداء واردف قائلا في غير هوادة :

– جهز متاعك لغياب بضعة ايام .. وتزود على الاخص بمسدس .. بمسدس يا مارتن ! .. اتسمع ؟ .

– نعم سامع يا نورن ..

– انا ذاهب الى الباخرة (كورونيا) التي سترسو على الرصيف صباح اليوم .. ومعي رجل يدعى الدكتور ريناخ .. واما صفتك فانت زميل لي في المهنة .. افهمت ؟. وليكن مسلكك حيالنا مشبعا بالحزم والشدة والبعد التام عن اللين والهوادة .. ولا تسال رفيقي، بل لا تسالني سؤالا واحدا .. ولا تدع له مجالا للتاثير فيك او زعزعتك .. مفهوم ؟ ..

فاجاب مارتن ديل :

– مفهوم .. وان كان الفهم محدودا .. هل من شيء آخر ؟ .

– بلغ (آن) سلامي واخبرها اني ساغيب اياما اخرى .. ولكن قل لها انك معي واني بخير .. ثم اطلب اليها ان تتصل بمكتبي تليفونيا لابلاغ (كروفورد) عن غيابي .

– تعني انه حتى زميلك وشريكك في المكتب لا يعرف شيئا عن حركاتك ونشاطك ؟ ! ..

لكن (نورن) ترك التليفون دون جواب .

– فوضع مارتن ديل السماعة عابسا وهو في عجب اي عجب من صاحبه .

فقد عرف (نورن) من عهد بعيد فوجده المواطن الهادىء الرصين والمحامي الناجح الذي تدور حياته على وتيرة جامدة بعيدة كل البعد عن اسباب التغيير المفاجىء والانقلاب العنيف ! وها هو ذا الان يراه غارقا حتى اذنيه في خضم من الخفاء والابهام ..

ومهما يكن، فقد ابتسم مارتن ديل راضيا قرير العين واتصل تليفونيا بزوجة المحامي فطمانها على زوجها، وان هي الا دقائق حتى كان في سيارة تسابق به الريح الى الميناء وقد تزود بحقيبته وتسلح بمسدسه .

الفصل الثانى

ما كاد مارتن ديل يلقى نظرة على صاحبه (نورن) حتى اشفق من هذا الانقلاب الذى طرا على حالته والذى شغله برهة عن الاهتمام برفيقه البدين الواقف بجانبه على رصيف الميناء ..

فقد بدأ له (نورن) نكمشا ضئيلا وكانما شاخ وطعن فى السن ، ونبتت فوق عارضيه لحية قصيرة وتجرد هندامه من هذه العناية التى عرف بها ، وصافح مارتن ديل وهو يضغط على يده فى حرارة وقد لمعت عيناه المحمرتان لمعانا خفيا وكانما سرى عنه حين رآه قد خف اليه وسارع الى نجدته ..

ومهما يكن فان المحامى كتم شعوره وقال فى لهجة عادية :

ـ اهلا بك يا مارتن ! اننا سنضطر الى الانتظار اكثر مما قدرنا .. اقدم اليك الدكتور هربرت ربناخ .. اعرفك يا دكتور بمارتن ديل .

فقال مارتن ديل فى اقتضاب وفى لهجة ادنى الى الجفاء وهو يلمس يد الطبيب المكسورة بالقفاز :

ـ تشرفنا ..

فرد الطبيب على تحيه مجاملا فى صوت عميق خرج من حنايا صدره وكانما يخرج من كهف سحيق .. فالتفت مارتن ديل الى المحامى وقال وهو يشعل سيجارة :

ـ اين الباخرة (كورونيا) ؟ ..

فاجاب (نورن) : انها محجوزة فى (الكورنتينا) بسبب اصابة مرضية بين الركاب ، والمفهوم ان حجزها سيستمر بضع ساعات .. ما رايكم فى الذهاب الى غرفة الانتظار ؟

وفى غرفة الانتظار المزدحمة جلس مارتن ديل عن كثب من صاحبيه بحيث يراقب ما يدور على صفحتى وجهيهما .. فانثنى (نورن) يقول وكان للموضوع سابقة :

ـ لا ريب ان (اليس) متضايقة مللا .. لكن الملل صفة ملازمة لاسرة (هيوز) ، على قلة معرفتى باطوار (سلفستر الشيخ .. الا ترى هذا يادكتور ؟ . الواقع ان الانسان لا يملك الا ان يتضايق حتى قطع هذه المرحلة الطويلة قادما من انجلترا ، لكى يحجر اخيرا فى الميناء ! .

والحق ان مارتن ديل اطرى فى سره هذه المعلومات البارعة التى تطوع بها المحامى الشيخ الداهية لكى يزوده بما تيسر من البيانات .. وقد فهم منها انهم جاءوا لاستقبال من تدعى (اليس هيوز) التى قدمت من انجلترا على الباخرة (كورونيا) ولعل سلفستر الشيخ هو من اكابر اسرة (هيوز) ومن اقرباء (اليس) طبعا ..

وقال الدكتور ربناخ وهو يصوب عينيه الضيقتين الى حقيبة مارتن ديل :

ـ لعلك مسافر الى مكان ما يا مستر ديل ؟

ففهم مارتن ديل من هذا السؤال ان الطبيب لا يعرف انه سيلازمهم مهما تكن وجهتهم ، بينما تولى المحامى الجواب على سؤال الطبيب ، فقال بلهجة ادنى الى العداء :

ـ ان ديل سيذهب معى ..

فاجاب الطبيب البدين فى رقة وهو يطرف بعينيه الفارقتين فى وجهه العابس : احقا ؟

وقال (نورن) فجأة :

ـ واحب ان اقول ان مارتن ديل زميلى فى المحاماة .. وقد اجتذبته هذه القضية ..

فقال الطبيب البدين : قضية ! ؟ .

فقـال المحامي :

ـ هذا وصف قضائي طبعـا .. والواقع اني اردت ان اشركه لمساعدتي في .. في الدفاع عن مصـالح (اليس هيوز) .. لعلك لا تمانع ؟..

فأجاب الطبيب في حرارة وهو يسبل جفنيـه ويشبك يديه فوق بطنـه :

ـ كلا بتاتا .. والحق اني سعيد بلقائك يا مستر ديل ..

وقبع الطبيب في مجلسه جامدا مسترخيا .. لكن مارتن ديل قدر ان وراء هذا الجبل الشحمي المترهل المتكاسل عزما وارادة ومضاء ..

وقال تورن اخيرا في اعيـاء :

ـ ما رأيكم في تناول طعام الغداء ؟ .. انني أكاد اموت جوعا ..

وما وافت الساعة الثالثـة حتى كانوا واقفين على رصيف الميناء يشخصون الى الباخرة الكبيرة وهي تتهـادى الى مرساها . وقد استطاع مارتن ديل في خلال الساعات الفائتة ان يلم ببعض عنـاصر الموقف ..

فقد علم ان المدعو « سلفستر هيوز » قد توفي اخيرا وكان في حياته مصـابا بخلل عقـلي .. وان له دارا في ضاحية نائية منعزلة في « لونج ايلاند » وان (اليس هيوز) القادمة بالباخرة كورونيا هي ابنة المتوفى .. وكانت مفترقة عن ابيهـا منذ طفولتهـا ..

كما علم ان الدكتور ريناخ هـو ربيب والد (سلفستر هيوز) وانه تكفل ايضا برعايته وعلاجه في خلال مرضـه الاخير .. وعلم فوق هـذا ان الطبيب متـزوج من امرأة لم يعرف مارتن ديل موقفهـا عـلى وجه التحديد من

القضية . وان ثمة ايضا عجوزا غريبة الاطوار هي شقيقة المتوفى ..

اما ماهية هذه القضية الغامضة الخفية التي حيرت المحامي تورن واثارت منه هذا الاضطراب الشديد الذي آنسه مارتن ديل في طواره ، فهذا ما لم يستطع بعد ان يتادى اليـه او ينفذ الى بواطنه ..

واذ القت السفينة مراسيها وساد الهـرج والمرج في كل مكان قال المحامي وهو يهتز انفعالا :

ـ ها هي ذي .. اني اعرفها اينمـا تكن من صـورها الفوتوغرافية .. هي تلـك الفتاة النحيفة ذات القبعـة السـمراء ! .

وهرع تورن لاستقبال فتاة هيفاء مليحة موفورة الرشاقة ترتدي ملابس تشف عن البساطة والاقتصاد .. وعاد بها الى صاحبيـه وهـو يربت على يدها المكسـوة بالقفـاز ويتحدث اليها في هدوء ، اما هي فبدت مشرقة الوجه منبسطة الاسارير ظاهرة المرح حتى لقد اقتنع مارتن ديل من طوالع هيئتها انها تجهل كل الجهل ما ينتظرها من غوامض هـذه القضية وخوافيها ، او من فواجعها ومآسيها .

واعربت الفتاة في لهجة مهذبة وفي رطانة بريطانيـة عن سرورها بهذا الاستقبال ، ثم راحت تقلب نظرها بين الدكتور ريناخ ومارتن ديل في رصانة وهدوء .. فقال المحامي :

ـ هذا يا آنسة هيوز عمك الدكتور ريناخ .. اما هـذا السيد فليس من اقربائك ، بل هو مستر ديل ، احد زملائي :

فقالت الفتاة في صوت متهدج وقد تلفتت الى الطبيب :

ـ آه .. عمي هربرت .. شد ما كنت اشـعر بالوحشة في حيـاتي الماضية .. فقد كنتم في نظري اعني انت

يا عمى وعمتى ســارة والباقين ، كأفراد القصص والاساطير ! ..

أما الآن ..

واحتبس صوتها وهى تطوق الرجل البدين بساعديهــا وتقبل خديه المتهدلين

واردفت الفتـــاة قائلة

ـ لكن لابد أن تقص على كل شيء ! .. كيف حال ابى ؟ .. وان كان هذا السؤال عجيبــا فى الواقع .

فبادرها المحامى قائلا :

ـ الا ترين يا آنسة هيوز ان ننتهى اولا من الاجراءات الجمركية ؟ .. ان الوقت متأخر وامامنا رحلة طــــويلة فى « لونج ايلاند » .

فقالت الفتـــاة باسمة :

ـ انى تحت تصرفك يا مستر نورن .. والواقع ان رسائلك الى كانت آية فى الرقة والطيبة

واستقلوا اخيرا سيارة الدكتور ريناخ التى تولى الطبيب قيادتهــا بنفسه .. وجلس مارتن ديل الى جانب الطبيب قد ارهف سمعه لما يدور من حديث خلفه دون ان يلقى بالا الى الطريق الذى اخذت السيارة تسلكه .

وتنحنح المحامى آخر الامر وقال يخاطب الفتاة الجالســة الى جانبه فى لهجة من يوشك ان يلقى شيئا بالغ الخطورة :

ـ ان لدينا نبأ محزنا لك يا آنسة هيــوز .. ومن الخير ان تقفى عليــه الآن

فتمتمت الفتـــاة بعد هنيهة :

محزن ؟ محزن ! .. آه .. لعله ليس ...

فقــال نورن فى صــوت خافت :

ـ هو والدك .. انه توفى .

فهتفت الفتاة مروعة مشدوهة ، ثم اخلدت الى الـسكينة مغلوبة على أمرها ...

وقال نورن بعــد صمت يسير :

ـ يؤسفنى اشد الاسف ان استقبلك بمثــل هذا النبأ .. وهو لا ريب شديد الوقع فى نفسك لكن قد يخفف منه انك لم تجتمعى به قط منذ عهد الطفولة .. وكانك لم تعرفيه .

فقالت اليس فى صــوت مختبــس :

ـ هى صدمة طبعا .. ومع ذلك فقد كان غريبا لدى كما قلت .. والواقع انى كنت طفلة صغيرة حين طلقت والدتى منه ، وذهبت بى الى انجلترا كمــا حدثتك فى رسـائلى اليك .. ولست اتذكر والدى قط ، ثم لم اسمع عنه شيئا منذ ذلك العهــد ، ولم اره

فانهى المحامى على كلامها ، فاستطردت :

ـ وقد كان ممكنا ان اقف عــــلى مزيد من البيانات عن ابى لو لم تمت امى وانا بعد فى السادسة من عمرى .. وقد تركتنى فى كفالة خالى الذى توفى فى العام المــاضى ، وهكذا اصبحت وحيدة فى هذا العـــالم .. حتى اذا جاءتنى رسائلك يا مستر نورن زالت وحشتى وساورتنى الغبطـــة والفرح واحســـت انى لم اعــد وحيدة فى الدنيـــا ...

اما الآن .. وكفت عن استرسالها وشرعت تحــدق من خـــلال نافذة السيارة .

فما سمع الدكتور ريناخ هذا الكلام حتى ادار رأســه الضخم وقال وهو يبتسم فى حنــو ورقة : وهناك زوجتى ديللى .. بل هنــاك ايضا شاب يدعى كيث يتولى خدمتنا ، وهو يتوقد الذكاء كثير النشاط ..

وأردف الطبيب ضاحكا :

— وكذلك ترين يا اليس انك ستكونين فى جمع من الرفاق والاصحاب
فتمتمت الفتـــاة قائلة :
— شكرا لك يا عمى هربرت .. انا واثقة من كرمك وطيبتك .. كيف توفى ابى يا مستر تورن . انك اخبرتنى فى رسالتك بمرضـــه ، لكن ..
— انه اصيب بغيبوبة مفاجئة منذ تسعة ايام .. وكنت اذ ذاك لم تبرحى انجلترا بعـد ، وقد ابرقت اليك فى الحانوت الذى كنت تعملين به ، لكن البرقيـة لسبب ما لم تصـل اليـك .
— ومتى توفى ؟
— منذ اسبوع .. يوم الخميس .. ولم نستطع تأجيـل الدفن انتظارا لحضورك .. والحقيقة انه كان بامكانى ان ابرق اليك على ظهر الباخرة ، لكنى لم ارد ان افسد عليك رحلتك ..
فقالت الفتاة وقد اشتد تهدج صوتهـا :
— لست ادرى كيف اعبر لك عن امتنانى لما تعبت من اجلى .. وانه لما يعزى الانسان ان يجد ..
فقال الدكتور رشـاخ : ان الخطب فـادح لنـا جميعا .
فقـالت اليس : لا ريب فى ذلك يا عماه .. انى اشاطرك شعـورك ..
واخلدت الى الصمت حينـا .. حتى اذا تكلمت اخيرا راحت تقـول :
— حينما توفى خالى لم ادر كيف يتيسر لى الاتصـال بوالدى .. ولم اعـرف احدا فى امريكا الجأ اليـه سواك يا مستر تورن ، بعد أن زودنى بعض اهل الخير بعنـوانك .. وعند ذلك بدا لى انك كمحـام ، تستطيع الجمع بينى وبين ابى .. وكذلك كتبت اليك فى اسهاب كما تعـرف

وبعثت اليه بالصور الفوتوغرافية وغيرها من الوثائق اللازمة .
فقـال تورن فى لهجـة ادنى الى التأثر :
— وقد فعلنا طبعـا كل ما فى وسعنا .. ولما تيسر لى الاهتداء الى والدك ذهبت اليـه لاول مرة واطلعته على رسائلك وعلى صورك ، رايت منه لهفة بالغة وحاجة ماسـة الى لقائك .. والظاهر انه كان يعانى فى الاعوام الاخيرة متاعب نفسية وعقلية غير يسيـرة .. وكذلك كتبت اليك بناء على طلبه ... وفى خـلال زيارتى الثانيـة له ، اى حين رايته لآخر مرة على قيـد الحيـاة ، اثيرت مسألة ممتلكاته ..
فقالت اليس فى اعياء : ارجوك يا مستر تورن ان ترجىء الان الكلام فى هذا الموضـوع فانى لا استريح الى الخوض فيـه فى مثـل هذا الظرف الحالى .
وفى خـلال ذلك كانت السـيارة تنهب الارض نهبـا فى الطريق المقفر المهجور وكانهـا تولى الادبار فرارا من وطأة الطقس .. فقد تلبدت السماء بغيـوم متكاثفة ، واكفهر وجه الافق ، ونفذ البرد الى داخل السيارة يخز الاجسام وخزا .
وبدت الطريق وكانهـا لا نهـاية لها .. وكانت تمتد متشابهة وهى تماثل حالة الطقس تجهما وعبوسا ..
وانحرفت السيارة عن الطريق العام الى طريق فرعى شديد الصلابة تحف به الاشجار اليابسة على الجانبين وقد تجردت من تجردت من معالم الحياة والنماء حتى لكانما لعقتها النيران غير مرة .. وكان المشـهد فى جملته ادنى الى الوحشـة والخـراب ..
ولم تتمالك اليس ان قالت وهى ترى ما رات :
— ان هذا المشهد لا يجتـذب النفوس !
ولعلها كانت تفكر وهى تقـول هذه العبارة فى اطـوار ذلك الوالد الغريب الذى اقام فى هـذه الارض الموحشة

المعفرة ، وفي امها المنكودة التي ورثت منها منذ عهد بعيد !

وقال الدكتور ريناخ ردا على كلامها ؟

ـ ان هذه الارض كانت مزدهرة فيما مضى ، وانا اذكرها من ايام الطفولة ، وكان يمكن ان تصبح مناط العمران والاستقرار ، لولا ان عوامل التقدم والتعمير قد جاوزتها وتخطتها ، كما تكلفت الحرائق التي شبت اكثر من مرة بالباقي .

فتمتمت قائلة :

ـ هذا شيء مروع بشع ! .

فقال الطبيب :

ـ واى شيء في الحياة يا عزيزتي اليس خلا من معالم البشاعة والقبح ؟ .. بل ان الحياة ذاتها هي شيء كريه فاسد ، ولا تستحق ان تعاش .. لكن اذا لم يكن بد من الحياة ، فلنقبلها على علاتها ، وعلى فسادها ، وعلى بشاعتها

فقال المحامى في تبرم : ان لك فلسفة خاصة يا دكتور .

ـ انني رجل صريح صادق ..

فلم يتمالك مارتن ديل ان بادره قائلا :

ـ اتدرى يا دكتور انى بدأت املك واتضايق منك ؟ ..

فتطلع اليه الطبيب ، وقال يخاطب المحامى :

ـ وهل تقر يا مستر تورن رأى صديقك الغامض ؟

فاجاب المحامى في غير لين :

ـ ان الواقع يصور نفسه بابلغ مما تفصح عنه الكلمات ، فلا حاجة بنا الى توكيد قبحه .. فمثلا انى لم احلق ذقني منذ ستة ايام .. واليوم فقط غادرت منزل « سلفستر هيوز » بعد دفنه ..

فهتفت اليس قائلة :

ـ فدتك نفسى يا مستر تورن .. ما السبب ؟ ..

فغمغم المحامى قائلا :

ـ ستعرفين هذا في وقته يا آنسة .. فالامور مرهونة باوقاتها ..

فتبسم الطبيب قائلا :

ـ انك لتظلمنا جميعا يا مستر تورن اذ تقدم لابنة اخى صورة لاسرتها بعيدة كل البعد عن الحقيقة وصحيح أن فينا بعض الغرابة والشذوذ .. لكننا اسرة عريقة اصيلة .. كما تشهد بذلك صورة اليس الحسناء المليحة ..

لم تعقب اليس بكلام .. فقد بدا هـذا العم الذى لم تره قبل اليوم لغزا غامضا في نظرها .. ولعل باقى افراد الاسرة لا يختلفون عنه في هذا المقام

والحق ان الاسرة كلها مصابة بلوثة غريبة .. فقد كان الاب مخبولا مذعوب العقل والرشاد واكبر الظن ان اخته « سارة » هي الان صورة مماثلة منه ، وآية شاخصة باقية .. اما زوجة العم المتعجرفة « ميلى » ، فما على « اليس » الا ان تلقى نظرة على الطبيب لكى توقن ان العرق دساس وان الاناء ينضح بما فيه !

* * *

واما « مارتن ديل » فقد توجس من هذه المغامرة المجهولة الغامضة ، واحس كان بها جبارة عاتية تمهد لماساة عنيفة قاهرة .. وزاده توجسا ونفورا ان راى معالم العمران تمحى وتتلاشى من طريق السيارة ؛ فقد اختفت اعمدة التليفون واسلاك البرق ، ومعنى هذا انهم يستضيئون بالشموع ؛ ولم يكن اشد من الشموع عنده كرها .

ذلك وما فتئت السيارة تمضى في طريقها المقفر الموحش المليء بالحفر والاخاديد ، تحت سماء متجهمة كالحة انحدرت

شمسها الى الافق الغربى باهتة كثيفة ، وفى برودة لاذعة قارسة تنفذ حتى العظام .

وشد ما تنفس مارتن ديل الصعداء حين القى الطبيب ينعطف بالسيارة اخر الامر يسرة فى طريق فرعى ويقول لهم ها قد وصلنا اخيرا ! .. لقد حللت فى دارك ياليس اهلا وسهلا ! .

ولم يتمالك « مارتن ديل » حين آنس لهجة السخر والتهكم التى لابست كلمات الطبيب ان تطلع اليه مستخبرا بيد ان ملامح وجهه ظلت على حالها من الرقة والعذوبة والدماثة ..

واوقف الطبيب السيارة بين منزلين متواجهين قائمين على جانبى طريق السيارات المفضى الى « جراج » عتيق ، لمح مارتن ديل فى داخله سيارة « تورن » الانيقة اللامعة .. وكانت المبانى الثلاثة وحولها الغابات المتشابكة كانها جزائر مقفرة منعزلة فى بحر لجى متلاطم .

وقال الدكتور ريناخ فى حرارة :

– ان المبنى القائم الى اليسار يا اليس هو قصر العائلة التاريخى .

وكان هذا البيت المؤلف من ثلاث طبقات مغبر مربدا بفعل عناصر الطبيعة وبتاثير حرائق الغابات حتى لقد كان فى شكله اقرب الى السواد .

وتطلع مارتن ديل الى الفتاة ، فرآها شاخصة الى البيت منعقدة اللسان ارتياعا وذهولا ، حتى لم يتمالك ان راح يلعن فى سره المحامى ان جاء بالفتاة الى هذه البقعة واستهدفها لهذه المحنة القاسية .

وقال الدكتور ريناخ فى خفة ومرح :

ان سلفستر سماه « البيت الاسود » .. وهو ليس

بالجميل الصورة كما ترون ، ولكنه عريق فى القدم ، اذ انشىء منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ..

وغمغم تورن متبرما :

– « البيت الاسود » ؟ .. تسمية سخيفة ..

وقالت اليس همسا :

– اتقرر ان ابى .. وامى .. عاشا فى هذا البيت ؟

– نعم يا عزيزتى .. وقد بناه جدك .. على انه ابتنى فيما بعد هذا البيت الاخر .. وستجدينه اقرب الى الانس وادعى الى طيب الاقامة .. اين ذهب هؤلاء الناس بحق الشيطان ؟ !

وهبط الطبيب من السيارة متثاقلا وفتح الباب لابنة اخيه .. وانحدر مارتن ديل من الناحية الاخرى وراح يتطلع حوله مشرئبا كما يفعل الحيوان البرىء ، فراى البيت الثانى مؤلفا من طبقتين وقد شيد بحجارة بيضاء حال لونها بفعل الطبيعة والزمن .. وكان الباب الامامى مقفلا والستائر مسدولة فوق النوافذ ، ينبعث من خلالها ضوء نار مشبوبة وعلى حين غرة لمح وجه امراة ملتصقا بزجاج احدى النوافذ وسرعان ما اختفى .. بيد ان الباب ظل مغلقا ..

ويمم مارتن ديل شطر زملائه فى الناحية الاخرى من السيارة ، فالفى اليس واقفة قرب تورن ، وكانما تلتمس الحماية فى جواره ، وسمع الطبيب يقول لها فى مودة :

– انك ستقيمين معنا طبعا ، ولست تفضلى البقاء وحدك فى « البيت الاسود » فهو خلو من كل انسان ، وهو مثال الاضطراب والفوضى .. بل هو بيت الموت كما تعلمين .

فقال له المحامى مزمجرا :

– كف عن الكلام ! .. الا ترى البنية المسكينة تكاد تموت

رعبا ورهبة ؟ .. ام تحاول ان تثير انزعاجها لابعادها عن هنا.

فقالت اليس مذهولة : لابعادى ..

فقال الطبيب باسما :

- الظاهر ان الاساليب المسرحية فى الكلام لا تروقك يا تورن .. والواقع يا اليس انى رجل خشن على الفطرة ، لكن حسن النية سليم القصد .. وستجدين اسباب الراحة مهيأة فى « البيت الابيض » .

واردف ضاحكا :

- نعم « البيت الابيض » ! . هكذا سميته لحفظ التوازن بين البيتين ! .

وقالت اليس فى قلق دفين :

- ان كل شىء حافل بالغموض والابهام .. فما هو مستر تورن ؟ .. ثم لماذا لبثت ستة ايام فى بيت ابى حتى دفنه ؟ . احسب ان من حقى ان اعرف التفسير اللازم ..

تعلق تورن شفتيه وهم بالكلام ، لولا ان سبقه الطبيب قائلا :

- هلمى بنا يا عزيزتى . والا جمدنا بردا ..

فقالت اليس وهى تضم اطراف معطفها الرقيق :

- احب ياعماه ان ارى داخل البيت .. حيث عاش ابى وامى ..

فسارع تورن قائلا :

- ليس هذا من رايى يا انسة ..

فقال الدكتور ريشاغ فى رقة :

- ولم لا .. من الخير ان نفرغ نهائيا من هذه المهمة .. وما زال ضوء النهار يسمح بالرؤية .. فاذا تم ذلك عدنا ادراجنا واغتسلنا وتناولنا الطعام الشهى الساخن وشعرنا

وشعرنا بلذة الوجود حقا .. اظن ان المفتاح معك يا مستر تورن ..

ووقفت الفتاة تنتظر هادئة ساكنة وهى تحدج بعينيها السوداوين رفاقها الثلاثة .. فاذا المحامى شاحب الوجه مطبق الفم قد زم شفتيه عن كل تعقيب ... وما لبث ان اخرج من جيبه مجموعة من المفاتيح الكبيرة الصدئة واولج احدها فى باب « البيت الاسود » فدار فى صليل وصرير

فدفع تورن الباب ، ونفذ الجميع الى الداخل ..

كان البيت كالقبر .. تفوح فى ارجائه روائح كريهة فاسدة مرطبة ..

وكان اثاثه نفيسا فيما مضى ، اما الان فقد علاه القدم والبلى ..

وبدت الجدران متآكلة الطلاء كانها وجه موقع كالح وانتشرت الاقذار والفضلات فى كل مكان ، حتى ليستبعد الناظر ان يعيش فى هذا الجحر القذر آدمى له صفة الاناسى .

وتولى الدكتور ريشاغ قيادة الفتاة فى ارجاء البيت ، فجعلت تسير معه طيعة متعثرة وقد تجلى فى نظراتها الرعب والذهول ..

ولم يدر مارتن دايل كم لبثوا على وجه التحقيق فى هذا الطواف الكريه .. فما من ريب فى انها كانت مهمة شاقة كريهة حتى لمن هو مثله غريب عن المكان لا يمت له بسبب .. وجعلوا يتنقلون هنا وهناك صامتين ماخوذين وكانما تسوقهم قوة خفية غلابة .

وقالت اليس فى صوت مختنق محتبس :

- الم يتكفل احد ياعماه بالعناية بابى ؟ .. الم يتطوع انسان مرة بتنظيف هذا المكان المزعج ؟

فاجاب الطبيب وهو يهز كتفيه :

ـ ان . اباك كان غريب الاطوار فى شيخوخته يا عزيزتى ولم يكن بوسع احد ان يفعل حياله شيئا .. وربما كان من الخير الا نخوض فى هذا الموضوع ..

ومضوا فى طوافهم تملأ انوفهم الروائح الكريهة الفاسدة . وسار تورن فى الرهم وهو يراقب الطبيب عن كثب حتى ليحصي عليه حركاته وسكناته .

واشرفوا فى الطبقة الثانية من « البيت الاسود » على غرفة النوم التى لفظ فيها سلفستر هيوز انفاسه الاخيرة .. فاذا الفراش مشوش مضطرب والاغطية مبعثرة واثر جثمان الرجل ظاهر للعيان ..

ولم تتمالك اليس وقد شاهدت هذه الغرفة الحقيرة ان راحت تسعل قهرا وطفقت تتفرس فى الفراش القذر الذى ولدت فيه .

وفجاة هرعت الى دولاب صغير رأت فوقه صورة كبيرة فى اطار مستندة الى الجدار المصفر ووقفت برهة تطيل النظر اليها دون ان تمسها .. وما لبثت ان تناولتها وقالت فى تؤدة :

ـ هذه صورة امى .. وانا الآن مسرورة بمجيئى الى هنا .. فقد كان ابى يحبها اذن وقد ابقى صورتها طيلة هاته الاعوام

فغمغم تورن قائلا :

ـ نعم يا آنسة .. وقد بدا لى انك ولابد مستحوذ على الصورة .

فقالت اليس : انى لم اكن امتلك سوى صورة متواضعة لامى .. اما هذه الصورة فجميلة .

ورفعت الصورة بين يديها فخورة ضاحكة فى غمرة هذا الانفعال الشديد الذى انتابها ، فقال الدكتور ريناخ متنهدا :

ـ ان والدك طالما جعل يتحدث فى اخريات ايامه عن والدتك ، وعن حسنها ..

فقالت اليس وقد تملكتها رعدة يسيرة :

ـ لو لم يترك ابى غير هذه الصورة ، لكفى بها ثمرة طيبة لرحلتى من انجلترا .

ثم اسرعت الى جانبهم وهى تقول فى صوت اجش :

ـ لنخرج من هنا .. انا لا استريح الى هذا المكان .. انه يشيع روع ! .. انى .. خائفة !

وغادروا البيت سراعا فى خطى متلاحقة وكأنما يطاردهم مطارد خفى .. واوصد تورن الباب الخارجي بالمفتاح فى عناية بالغة وهو يحدق فى اثر الطبيب .. بيد ان الدكتور ريناخ تأبط ذراع الفتاة واتجه بها الى « البيت الابيض » الذى فتح الآن بابه واضيئت نوافذه

❊ ❊ ❊

وقال مارتن ديل يخاطب تورن فى حدة وهما يسيران فى اثر الطبيب والفتاة :

ـ تورن .. هلا زودتنى بدليل .. باشارتها ! .. اننى فى ظلام دامس ..

فغمغم تورن وقد بدا وجهه المرسل اللحية كالحاه فى فى ضوء الشمس الغاربة :

ـ لا يمكننى الكلام الآن . الك ان تشتبه فى كل انسان .. وفى كل شيء ! .. سأراك الليلة فى غرفتك .. مارتن اناشدك الله ان تكون على حذر !

فقال مارتن ديل عابسا : على حذر ؟؟

ـ أتحذر وكأن حياتك فى اشد خطر .. بل هى فى خطر اى خطر ! .

وبلغا عتبة البيت الابيض .. فدلفا الى الداخل ..

الفصل الثالث

وقف مارتن ديل في غرفة جلوس رحبة متقادمة الاثاث تضطرم في مدفأتها نار مشبوبة اجرت الدماء في عروقهم حارة بعد هذا القر الشديد الذي ثقلت وطأته عليهم .

وعن كثب منه راحت مدام ريناخ ترحب بالفتاة الوافدة مقبلة معانقة .. وقد تفرس فيها مارتن ديل فرآها نحيلة شاحبة تلوح على محياها الجاف امارات خوف دفين .. وقالت الفتاة وقد تخلت عنها :

ـ لابد الان تكوني متعبة منهوكة يا عزيزتي .. ثم اني اقدر شعورك ايضا .. فنحن شبه غرباء في نظرك ! .

واذ وقع نظرها على الصورة التي حملتها الفتاة اردفت مستطردة :

ـ آه .. اراك قد زرت البيت الثاني حال قدومك ..

فرد عليها الطبيب وقد زاد شحوب لونها :

ـ طبعا زارته .. والان يااليس ، ارى من الخير ان تصعدي مع ، ميللي ، لكي تعمل على راحتك .

فقالت الفتاة : الواقع اني اكاد اموت اعياء

ثم تطلعت حولها ، وما لبثت ان تقدمت الى المدفأة ووضعت الصورة التي بين يديها فوقها قائلة :

ـ هكذا .. هذا خير مكان لها ..

وقال الدكتور ريناخ : ارفعوا الكلفة يا سادة وخلوا عنكم ، هذا التحفظ .. ديك .. تحرك ولا تقف هكذا جامدا .. ان حقائب الانسة عيوز ما زالت في السيارة ..

لقد وقف عن كثب منهم شاب علاق راح يتفرس في اليس مستغرقا .. حتى اذا سمع كلام الطبيب اومأ برأسه متبرما وخرج .. فغمغمت اليس وقد تورد محياها :

ـ من هذا ؟ ..

فاجاب الدكتور ريناخ وهو يخلع معطفه ويتقدم الى النار مصطليا :

ـ هو ديك كيث ، تابعي الساخط المتبرم .. وسوف تجدينه ياعزيزتي لطيف العشرة الااذا استطعت ان تنفذي الى ما وراء اهابه الغليظ .. وهو يتولى شئون الخدمة في البيت كما ذكرت آنفا ، لكي لا تدعي هذا الاعتبار يقف حائلا بينك وبينه ، فانتا في بلد ديمقراطي ..

ـ انه شاب لا غبار عليه .. والان استاذنكم جميعا ..

وفي هذه اللحظة عاد كيث تحت حمل من الحقائب وصعد السلم المتفرع من الغرفة ، فتبعته مدام ريناخ واليس واختفى الثلاثة عن العيان ..

ويمم الطبيب شطر دولاب اخرج منه زجاجة من الشراب فصب لنفسه كأسا افرغها في جوفه قائلا :

ـ هذه خير وسيلة للتدفئة .. ما رايكم ايها السادة في كاس مثلها ، ثم اذهب بكم بعد ذلك الى غرفكم ؟ .

فهز مارتن ديل راسه قائلا :

ـ شكرا لك .. اني وزميلي نفضل ان نغتسل حتى نسترد نشاطنا .

فقال الطبيب ضاحكا :

ـ ان لكم ما تريدون . وان كنت ارجوا الا تطمعوا عندي في وسائل المدنية والتحضير .. فان بيتي خلو من الكهرباء والتليفون والمياه الجارية .. وانما نستمد حاجتنا من الماء من بئر خلف الدار .. فهي حياة على الفطرة كما ترون .. ولكنها عندي خير من مظاهر الحضارة الحديثة الوفاء .. والان هلموا بنا ..

وصعد بهما الطبيب الى بهو لاذع البرودة حاملا شموعا وثقابا ، فادخل ثورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب بصاحبه الى غرفة اخرى جانبية راى فيها مارتن ديل مدفأة كبيرة تتلظى فيها نار حامية ، وعن كثب منها مغسل عتيق فوقه ماء بارد ، فوقف الطبيب لدى الباب قائلا :

— ارجو ان تجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ، لم يعبأ هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملابسه ، فانكشف المسدس الذى جاء به ، فمغمغم الدكتور ريناخ :

— اعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس فى جيب بنطلونه : دائما .

فقال الطبيب وهو يعبث بذقنه : بديع !.. بديع !.. استأذنك الان للاطمئنان على راحة ثورن .. واصارحك انه رجل عنيد صلب الراى .. فلولا عناده وصلابته لاقام معنا هادئا مستريحا فى الاسبوع الماضى . ولم يحبس نفسه عنادا واصرارا فى البيت القذر المجاور لنا ! .

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

— ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت .. ان مدام ريناخ قد اعدت عشاء شهيا سيعجبك ان كنت جائعا مثلى ! ..

واختفى الطبيب عن عينيه باسما .. ووقف مارتن ديل برهة ينصت ، فسمعه يتخلف قليلا فى نهاية الردهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه يهبط السلم

الى غرفة الجلوس بادر مسرعا الى باب الغرفة على اطراف اصابعه لكى يتحقق من هذه الظاهرة التى لمحها لدى دخوله .

وقد صحت نظرته حقا .. فقد الفى القفل منزوعا من مكانه ، وكانت آثار نزعة حديثة العهد . فلم يتمالك ان عبس قليلا . على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ، وانشأ يفتش الغرفة .

فرفع الحشايا (المراتب) من فوق السرير الخشبى وفتش تحتها باحثا مستطلعا .. وان لم يدر عم يبحث .. وعنى بفتح الادراج جميعا .. كما رفع السجادة العتيقة بحثا عن اسلاك تحتها ..

حتى اذا لم لم يفز من تفتيشه هذا بطائل يمم شطر النافذة مغضبا ، فاذا الغابات الجرداء والسماء الملبدة المكفهرة تاخذ بصره حيثما نظر .. اما (البيت الاسود) فلم يبد لعينيه اذ كان قائما ، فى الناحية الاخرى .

وراى الشمس المتقبة خلف السحاب تنحدر الى مغربها .. وانفرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت اشعتها فى عينيه حتى زاغ بصره او كاد .. وما عتمت الغيوم المثقلة بالثلج ان حجبتها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ، وباتت الغرفة فى ظلام متزايد ..

وجعل مارتن ديل يفكر فى هذا القفل المنزوع .. فبدا له ان يدا عالجته فى براعة وسرعة ، وقدر ان شخصا راد من النافذة الذى وصوله وفعل ما فعل .. وذهب يسائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بغرفة ثورن ، وغرفة اليس ؟

وهبط مارتن ديل الى غرفة الجلوس ، فوجد ثورن والدكتور ريناخ قد سبقاه اليها وانهمكا فى الحديث

وصعد بهما الطبيب الى بهو لاذع البرودة حاملا شموعا وتقايا ، فادخل تورن غرفة تطل على مدخل البيت ، وذهب بصاحبه الى غرفة اخرى جانبية راى فيها مارتن ديل مدفاة كبيرة تتلظى فيها نار حامية ، وعن كثب منها مغسل عتيق فوقه ماء بارد ، فوقف الطبيب لدى الباب قائلا :

– ارجو ان تجد هنا راحتك الكافية .

واذا لم ينصرف الطبيب بعد ان اغتسل مارتن ديل ، لم يعبأ هذا به ، بل فتح حقيبته ليخرج ملابسه ، فانكشف المسدس الذى جاء به ، فغمغم الدكتور ريشاخ :

– امعتاد انت ان تحمل سلاحك دائما يا مستر ديل ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يدس المسدس فى جيب بنطلونه : دائما .

فقال الطبيب وهو يعبث بدقنه : بديع !.. بديع !.. استاذنك الان للاطمئنان على راحة تورن .. واصارحك انه رجل عنيد صلب الراى .. فلولا عناده وصلابته لاقام معنا هادئا مستريحا فى الاسبوع الماضي ، ولم يحبس نفسه عنادا واصرارا فى البيت القذر المجاور لنا ! .

فغمغم مارتن ديل قائلا : ترى لم فعل هذا ؟ !

فحدجه الطبيب بنظراته ، ثم قال له :

– ارجو ان تنضم الينا تحت متى فرغت .. ان مدام ريشاخ قد اعدت عشاء شهيا سيعجبك ان كنت جائعا مثلي !..

واختفى الطبيب عن عينيه باسما .. ووقف مارتن ديل برهة ينصت ، فسمعه يتخلف قليلا فى نهاية الردهة ، حتى اذا شعر من خطواته الثقيلة انه يهبط السلم

الى غرفة الجلوس بادر مسرعا الى باب الغرفة على اطراف اصابعه لكي يتحقق من هذه الظاهرة التى لمحها لدى دخوله .

وقد صحت نظرته حقا .. فقد الفى القفل منتزعا من مكانه ، وكانت آثار نزعه حديثة العهد . فلم يتمالك ان عبس قليلا . على انه وضع مقعدا عتيقا خلف الباب ، وانثنى يفتش الغرفة .

فرفع الحشايا (المراتب) من فوق السرير الخشبي وفتش تحتها باحثا مستطلعا .. وان لم يدر عم يبحث .. وعنى بفتح الادراج جميعا .. كما رفع السجادة العتيقة بحثا عن اسلاك تحتها ..

حتى اذا لم يفز من تفتيشه هذا بطائل يمم شطر النافذة مغضبا ، فاذا الغابات الجرداء والسماء الملبدة المكفهرة تأخذ بصره حينما نظر .. اما (البيت الاسود) فلم يبد لعينيه اذ كان قائما ، فى الناحية الاخرى .

ورأى الشمس المتقبة خلف السحاب تنحدر الى مغربها .. وانفرجت السحب برهة عن قرصها فسطعت اشعتها فى عينيه حتى زاغ بصره او كاد .. وما عتمت الغيوم المثقلة بالثلج ان حجبتها على الاثر ، ثم اختفت تحت الافق ، وباتت الغرفة فى ظلام متزايد ..

وجعل مارتن ديل يفكر فى هذا القفل المنزوع .. فبدا له ان يدا عالجته فى براعة وسرعة ؛ وقدر ان شخصا رآه من النافذة لدى وصوله وفعل ما فعل .. وذهب يسائل نفسه : ترى افعلوا هذا ايضا بغرفة تورن ، وغرفة البس ؟

وهبط مارتن ديل الى غرفة الجلوس ، فوجد تورن والدكتور ريشاخ قد سبقاه اليها وانهمكا فى الحديث

وقال الدكتور حين رآه :

ـ تعال يا مارتن وانضم الينا .. سنتناول الطعام حالما تنزل اليس .

وقال له لورن : ان الدكتور ريناخ كان يحدثني الان عن « سارة » عمة اليس فالظاهر ان حضور ابنة اخيها قد اثار شديد انفعالها .

فقال مارتن ديل وهو يجلس قرب المدفأة : احقا ؟ .

فقال الطبيب : الحقيقة ان اختي المسكينة مختلة العقل ، طبقا لوراثة العائلية .. على ان جنونها غير عنيف .. وان كان من الحكمة ان يداريها الانسان ويلاطفها .. ولا ريب انها مفاجأة اخرى لاليس ان تراها وهي في هذه الحال غير الطبيعية .

فقال مارتن ديل : انها لاسرة منكودة بهذا الجنون الوراثي .. وقد بدا جنون اخيك سلفستر في الوحدة والعيشة القذرة .. فما هي لوثة اختك من ابيك هذه ؟ ..

ـ ان سارة تتوهم ان ابنتها ما تزال على قيد الحياة .. مع ان « اوليفار » المنكودة قد قتلت في حادث سيارة منذ ثلاث سنوات .. وقد اثر هذا الحادث في نفس الام تأثيرا شديدا .. ثم انها الان تنتظر بلهفة ابنة اخيها اليس ، وقد يكون الموقف مربكا محيرا ..

وبعد صمت يسير قال لورن : هلا حدثتنا يا دكتور ريناخ عن هذا الفتى المدعو كيث ؟

فأجاب الطبيب : لا تفكر في امره يا لورن .. فنحن ندعه وشأنه .. وهو شاب ساخط على الدنيا وعلى المجتمع .. آه .. ها قد جاءت عزيزتنا ! .. ما ابهاك ! .. ما ابهاك ..

وعبطت اليس الضحر صورة واجتلى طلعة حتى اصبحت بدت في عيني مارتن ديل مجردة من قبعتها ومعطفها وكأنها شخص اخر .. وقالت ردا على حفاوة عمها في صوت متغير قليلا :

ـ شكرا لك يا عماه .. لكن اخشى ان اكون اصبت ببرد شديد .

فقال الطبيب على الفور : عليك بالويسكي وعصير الليمون الساخن .. ثم اقتصدي في طعامك وعجلي بنفاسك ! .

ـ اصارحك يا عماه اني اكاد اموت جوعا ..

ـ اذن فكلي ما شئت واضربي بنصيحتي كطبيب عرض الحائط .. اما حان وقت ذهابنا الى المائدة ؟

فأجابت مدام ريناخ في وجل : نعم .. ولن ننتظر سارة او كيث ..

فلما سمعت اليس هذا التصريح فارقتها بعض بشاشتها .. على انها تنهدت وتأبطت ساعد الطبيب وتقاطر الجميع الى غرفة الطعام .

***

واذ فرغوا من العشاء ونهضوا عن المائدة عائدين الى غرفة الجلوس ، عالج المحامي ان يتخلف مع اليس وهمس في اذنها قائلا :

ـ لست بخير ؟ .. اكل شيء كما تحب ؟

فأجابت الفتاة في هدوء :

ـ الواقع اني اقرب الى الخوف مني الى شيء آخر .. ولا تحسبني بلهاء يا مستر لورن ، ولكن كل شيء هنا محوط بالغموض والشذوذ .. واني اتمنى الان لو لم اجيء الى هنا .

فتمتم تورن قائلا : اني اقدر شعورك .. ومع ذلك لم يكن بد من مجيئك .. ولو وجدت سبيلا اخر لوفرت عليك مشقة الحضور .. لكن لا ريب انك ان تختارى الاقامة فى ذلك الجحر البشع المروع المجاور لهذا البيت .. المعروف « بالبيت الاسود » ! .

فقالت الفتاة وهى ترتعد : كلا ! . كلا .

— ثم انه لا يوجد فندق قريب بمسافة اميال .. هل اجترأ احد من هؤلاء الناس على ..

— لا .. لا . وكل ما هنالك انهم غرباء فى نظرى .. واحسب ان الشعور الذى يداخلنى هو من تأثير الوهم والبرد القارس الملموس هنا .. هلا اذنت لى بالذهاب الى الفراش ؟ . ان غدا لناظره قريب ، ومجال الحديث متسع ممدود ..

فربت تورن على يدها ، فابتسمت ممتنة شاكرة ، وقبلت وجنة الدكتور ريناخ ثم صعدت الى مخدعها مع زوجة الطبيب .

وما كاد الرجال يستقرون حول المدفأة حيث اخذوا يدخنون حتى سمع وقع اقدام فى الجانب الخلفى للدار . فالتفت الدكتور ريناخ قائلا :

— لابد ان يكون كيث .. ترى اين كان ؟

وظهر الشاب العملاق فى مدخل الغرفة مبتل الحذاء ، نحيلا فى اقتضاب ولبرم كعاداته ، وبعم شطر الموقد يدفىء يديه الكبيرتين المحمرتين .. فسأله الطبيب :

— اين كنت يا كيث ؟ . اذهب وتناول عشاءك .

— انى تعشيت قبل مجيئكم ..

— وما الذى كان يشغلك ؟ ..

فاجاب الشاب فى فحة ادهش مارتن ديل صدورها من خادم :

— كنت احطب لتهيئة الوقود للمدفأة ، وهو شىء لم تفكر انت فيه ! .. ان الثلوج تتساقط .

— الثلوج ! .

وهرع الجميع الى النوافذ الامامية ، فاذا الثلوج تنهال قطعا كبيرة كانت تبدو جلية رغم الظلام وما لبث الطبيب ان خاطب تابعه قائلا :

— انك لم تتعرف بمستر ديل .. اقدم اليك كيث يا مستر ديل .. هيا يا بنى ودع عنك هذه الكآبة .. فان بلواك هى فرط احساسك وكثرة تفكيرك .. لنشرب جميعا .. ان الكآبة داء سريع العدوى ! .

وانتقل الطبيب الى الدولاب الجانبى ، فاخرج طائفة من القنانى المختلفة وانهمك فى مزج الاشربة وهو لا يكف عن الكلام وقد خامرت صوته رنة انفعال يسيرة لم تخف عن سمع مارتن ديل حتى ذهب يسال نفسه عن معناها وعما يدور حوله من الغاز ومعميات لا سبيل الى تحديدها بالكلام وان كانت ملموسة بالحس ! ..

واذ اخذ كيث يوزع الكؤوس تبادل مارتن ديل وتورن نظرة معنوية .. كانت نتيجتها ان كليهما تناول كاسين اثنتين وابى ان يزيدهما .. اما كيث فراح يشرب فى الحاح وكانما يحاول ان ينسى شيئا يثقل على نفسه .

وقال الدكتور ريناخ وهو يستقر فى مقعده وثير :

— هذا جميل .. كم تكون الحياة محتملة المذاق ما بعدت منها المراة وتهيأ فيها الدفء والشراب .

فقال تورن : يؤسفنى ان اخيب ظنك يا دكتور وافسد عليك لذتك .

– خيرا ان شاء الله .. خيرا ان شاء الله !

فاه الطبيب بهذه الجملة وقد نحى عنه زجاجة الويسكي وشبك يديه فوق بطنه ولمت عيناه الضيقتان المحمرتان

فنهض تورن من مكانه واتجه الى المدفأة حيث وقف موليا اياهم ظهره ، وراح يقول :

– انني جئت الى هنا يا دكتور ريناخ للدفاع عن صالح الآنسة هيوز وحدها .. وقد توفى ابوها سلفستر هيوز في الاسبوع الماضي فجأة .. توفى وهو ينتظر الاجتماع بابنته التي لم يرها منذ ان طلق امها ، اى منذ نحو عشرين سنة ..

فقال الطبيب في صوته الغليظ دون أن يتململ :

– هذا صحيح ..

فاستدار تورن في مكانه قائلا :

– دكتور ريناخ .. انك كنت طبيب سلفستر الخاص طيلة العام السابق لوفاته .. فما هو تشخيص حالته ؟

– انه توفى بسبب نزيف في المخ ..

فمال المحامي الى الامام قائلا في تؤدة :

– هذا ما قررته في شهادة الوفاة .. لكنني غير مقتنع بأنك قررت الحقيقة ! .

فراح الطبيب يحدجه برهة ، وما لبث ان ضرب على فخذه الكبيرة وقال هادرا :

– بديع ! . عظيم ! . انت رجل خصب الخيال يا مستر تورن ! ..

ثم التفت الى مارتن ديل مشرق الاسارير واردف قائلا :

– سمعت هذا الكلام يا مستر ديل ! ان صديقك يتهمني صراحة بالقتل .. فما ابدع هذا وما اظرفه .. ايقتل ريناخ

اخاه ؟! .. ما رأيك في هذا يا ديك ؟ .. ان صديقك يتهم بارتكاب جريمة القتل العمد ! .

فقال ديك كيث مزمجرا :

– هذا كلام مضحك يا مستر تورن .. وما اظنك تعتقده وتؤمن به انت نفسك .

فقال المحامي : سواء اعتقدت او لم اعتقد فهذا شيء ثانوى .. ولا ينفي الاحتمال الذى اشرت اليه ولا ينقضه .. لكن ما يعنيني في الوقت الحالي هو المحافظة على مصالح اليس هيوز اكثر من عنايتي بمسألة القتل ان صحت .. ان سلفستر هيوز قد مات ، وسواء لدى أكان موته طبيعيا ام بفعل فاعل .. لكن اليس هيوز ما زالت على قيد الحياة ..

فقال ريناخ في رقة : والنتيجة ؟ ..

فغمغم تورن قائلا : النتيجة ان وفاة الاب في الوقت الذى توفى فيه امر غامض يبعث على التساؤل ويثير التفكير ..

وخيم صمت طويل الامد راح الطبيب في خلاله يرشف كأسه .. وما لبث ان وضع الكأس وتنهد قائلا :

– ان العمر قصير ايها السادة ، وهو اثمن من ان نضيعه في مناوشات سطحية .. فلنطرق اذن صميم الموضوع .. ولنتقدم الى الموقعة الاساسية بشجاعة .. واني اقرر لكم ان ديك كيث وتمن عندى ، ولنا ان نتناقش امامه بحرية ..

واردف الطبيب باسما :

– اني اراك يا مستر ديل تجهل الموقف .. اليس كذلك ؟

فغمغم مارتن ديل دون ان يتحرك في مكانه : وكيف نعلم هذا ؟

فأجاب رينباخ ولم تذهب ابتسامته :

ـ عجبا لك ؟ . ان تورن لم يبرح « البيت الاسود » منذ دفن سلفستر .. وهو لم يتلق ولم يرسل رسالة ما طيلة حبسه الاختيارى فى الاسبوع الماضى .. وفى صباح اليوم تركنى على رصيف الميناء وتحدث تليفونيا مع مجهول .. وجئت انت بعد فترة قصيرة .. واذ كان غيابه على لم يجاوز دقائق معدودة .. فظاهر من هذا انه لم يجد من الوقت الا فسحة للافضاء اليك بمعلومات مفصلة .. ولا يسعنى بعد ذلك يا مستر ديل الا أن اهنئك على سلوكك هذا اليوم ، فقد كان مثاليا رائعا .. تعالم ظاهرى يخفى تحته جهلا مطبقا .

فقال مارتن ديل : انت عالم نفسانى .. فوق انك طبيب .

وفجأة قال تورن : ان هذا كله خارج عن نطاق الموضوع .

فقال الطبيب البدين فى كآبة :

ـ بل هو فى صلب الموضوع .. والان أسمح لى يا مستر ديل ان الخص لك الموقف .. فان اخى من ابى ، سلفستر رحمه الله ، كان شحيحا بخيلا .. ولو استطاع ان يحمل معه الى القبر ما كان يمتلك من ذهب وان يطمئن الى بقائه معه ، لفعل .

فقال مارتن ديل فى شيء من الاستغراب : ذهب ؟ ..

ـ لك ان تدهش يا مستر ديل ، لكن هكذا كان طبع اخى .. فلما ان عجز ان يأخذ ذهبه الى القبر معه .. قام بالخطوة التالية المنطقية .. فانه اخفاه ..

فقال مارتن ديل : ان هذا الكلام اقرب الى الشعوذة والدجل .

فقال الدكتور رينباخ مشرقا متهللا :

ـ وقد اخفى ذهبه الخسيس فى « البيت الاسود »

ـ والآنسة « اليس هيوز » ؟

ـ مسكينة .. انها ضحية الظروف .. فان سلفستر لم يفكر فى امرها قط الا مؤخرا حينما كتبت من لندن تقول ان اخر اقرباء ابيها قد توفى .. كتبت الى صديقنا تورن المحامى الداهية بعد ان ارشدها اليه بعضهم .. ولعلك ترى ان اليس لم تكن حتى تعلم ان والدها على قيد الحياة .. دع عنك مكان وجوده .. وقد استطاع تورن ببراعته ان يهتدى الينا ، وان يقدم الى سلفستر رسائل ابنته وصورها ، وتولى منذ ذلك الحين مهمة ضابط اتصال الطرفين .. وكم كان موفقا فى هذا حقا ..

فقال المحامى فى جفاء :

ـ هذا الشرح لا لزوم له .. فان مستر ديل يعرف

فقال الطبيب باسما :

ـ انه لا يعرف شيئا ، بدليل اصغائه الى قصتى .

والتفت الى مارتن ديل واسترسل فى عذوبته :

ـ واقرر لك يا مستر ديل ان سلفستر تشبث بوجود ابنته على قيد الحياة كما يتشبث الغريق بحبل النجاة .. ولعلى لا اذيع سرا اذا قلت ان اخى قد اصبح فى هوسه وجنونه يرتاب فى اسرته تصور ! ويشك فى ان لها مآرب فاسدة حيال ثروته .

— وعده وصمة شنيعه طبعـا ! .

— ابدعت فى وصفك .. والان .. فان سلفستر قد اخبر تورن فى حضورى انه قد حول ثروته منذ ابد الى ذهب .. وانه قد اخفى هذا الذهب فى مكان ما فى « البيت الاسود » ، وانه لن يكاشف احدا بسر المكان الا ابنته اليس الذى قرر ان تكون وريثته الوحيدة .. فهل رايت ؟ .

فاجاب مارتن ديل :

— مفهـوم ..

— على انه توفى لسوء الحظ قبل وصول اليس .. فهل من عجب يا مستر ديل اذا اساء تورن بنا الظنون وراح يكيل لنا الاتهام ؟

فقال تورن بعنف وقد تورد وجهه :

— هذا تجسيم للواقع .. انما كان من الطبيعى ، محافظة على مصالح موكلتى الا ابرح المكان واترك الذهب مخبا فى مكان ما دون حراسة ولا رقابة ..

فاومأ الطبيب براسة قائلا :

— طبيعى ...

فغمغم مارتن ديل قائلا :

— الا ترون اننا نجعل من الحبة قبة ، واننا نتطاحن من اجل فار ؟ .. ان حيازة الذهب هنا انتهاك لقوانين الدولة .. فيفرض انكم واجدون هذا الذهب .. الا تصادره الحكومة ؟ ..

فاجاب تورن :

— هذا موقف قضائى معقد يا مارتن .. لكن لبسر لنا

ان نعالجه قبل ان نعثر على الذهب فعلا .. واذن فان جهودى ...

فقال الدكتور ريتاخ باسما :

— وانها لجهود موفقة حقا .. اتدرى يا مستر ديل ان صاحبك كان ينام خلف ابواب موصدة محكمة ، وقد تسلح بالمدى والخناجر ؟ يا له من ظريف ؟ ..

فقال المحامى فى اقتضاب :

— انى لا ارى رايك .. واذا اصررت على ان تمضى فى هذا التهريج ..

فقال الدكتور ريتاخ : ونعود الان الى اتهاماتك يا تورن .. فهل عرضتها للتحليل ؟ .. من تتهم يا عزيزى الفاضل ؟ .. عبدك الضعيف ؟ .. اؤكد لك انى رجل روحانى زاهد ، وان المال لا يستهوينى فى قليل ولا كثير ..

هل تتهم سارة ، اختى من ابى ؟ .. انها مخلوقة محطمة تعيش فى عالم من الاوهام .. وقد بلغت من الكبر عتيا فلن تعمر طويلا .

فبقى بعد ذلك زوجتى الفاضلة وصديقنا الشاب ديك كيث .

فاما « ميللى » .. فهى امرأة ساذجة لا تعنى بشىء فى الحياة .

واما ديك .. آه ! .. انه دخيل على الاسرة .. وربما بلغنا النقطة الحساسة .. فهل تتهم ديك ، يا تورن ؟

وضحك الطبيب .. فلم يكد يتم ضحكته حتى وقع شيء

خارق في مثل البرق .. فقد نهض كيث من مكانه واهــوى على زجاجة الشراب فطوحهـا مستهدفا راس الطبيب حتى لقد صاح المحامي وتقدم الى الامام خطوة بحركة غريزية .

بيد ان الدكتور ويناخ كان في غنى عن كل دفاع خارجي .. فقد امال راسه الى الخلف كالافعي فلم تصبه الضربة .. وبلغ من عنفها انها افقدت كيث توازنه حتى ترنح في مكانه .. وافلتت الزجاجة من يده فاستقرت في المدفأة حطاما متناثرة وقد سالت بقية الشراب التي بها فكان لهـا في اللهب ضرام ازرق اللون .

وقال الطبيب غاضبا :

ـ ان هذه الزجاجة عمرها مائة وخمسون سنة ! .. ذلك وقد انتصب كيث في مكانه جامدا موليا اياهم ظهـره العريض وهو يلهث ..

والواقع ان هـذا المشهد بدا في عيني مارتن ديل اقرب الى المشاهد المسرحية منه الى الحقيقة الماثلة .. وراح يتسـاءل : اتراهم يتصنعون ؟ .. اتراهم قد اعدوا تمثيل هذا الدور فيما بينهـم ؟ .. لكن لاى غرض ؟ .. ما هي غايتهم من تكلف الخصام وافتعال العنف ؟ ..

ونهض مارتن ديل اخر الامر قائلا :

ـ افضل الان ان اذهب الى الفراش قبل ان تسـوء اعصابي .. واني لشاكر لكم ايهـا السـادة هذه السهرة اللطيفة الممتعة .. آت معي يا تورن ؟

وذهب يرتقي السلم يتبعه المحامي الذي بدا في مثل اعياء

.. وافترقا في البهو البارد فمضى كلاهما الى غرفته دون ان يفوه بكلمة .. ومن تحت كان السكون مخيما ..

وتذكر مارتن ديل اخيرا وهو يخلع ملابسه ان تورن كان قد همس في اذنه من قبل انه آت لزيارته ليلا لكي يفضى اليه بعناصر هذه القضية الغريبة .. فذهب في سكون الى غرفة تورن .. بيد ان المحامي كان يغط في سبات عميق ..

وكذلك عاد مارتن ديل الى غرفتــه وهو يجر قدميــه من فرط التعب .. فعنـد الصباح يحمد القوم السرى .... وما ان بلغ سريره حتى استسلم للرقاد .

الفصل الرابع

استيقظ مارتن ديل ، فبدا له على الفـــور انه في حالة غير طبيعية ، وان لم يستطع تحديد مظاهرها سوى بما شعر به من صداع في راسـه وخدر في لسانه .. ونظر الى ساعة يده ، فاذا هي السابعة الا دقائق .. ورفع راسـه عن الوسـادة في جو الغرفة القارس ، فاذا اشعة الشمس الباهتة تصافح عينيه .. وفيما عدا هذا كله فقد الفى الغرفة على حالهـا لم يتغير بها شيء بابهـا مغلقا كما تركه .. فارتد الى مكانه تحت الغطاء .

لكن سرعان ما نفذ الى سمعه صوت غريب .. صـــوت تورن وهو يصرخ صرخة كانها الولولة صادرة من خـارج البيت .

وان هو الا كلمح البصر حتى وثب مارتن ديل الى النافذة عارى القـدمين ، بيـد ان تورن لم يكن قائمـا في ذلك الجانب .. وكذلك انتعل الحذاء واختطف المسـدس من

جيب بنطلونه وهرع الى البهو يقصد السلم شاهرا مسدسه فى يده .

وشاهد فى طريقه الدكتور ريناخ يطل براسه من الغرفة المجاورة مستفسرا عما حدث ، فأجاب مارتن ديل وهو مندفع فى طريقه لا يلوى على شيء :

– لا اعرف .. سمعت ثورن يصرخ ..

وما كان يفتح الباب الامامى حتى وقف فى عتبته فاغر الفم .

فقد شاهد ثورن فى ملابسه الكاملة واقفا على قيد امتار قليلة من الدار وهو يحملق فى شيء لم يتبينه مارتن ديل ، وقد ارتسمت على وجه المحامى الابلغ آيات الرعب والفزع .

وعن كثب منه جلس ديك كيث القرفصاء وقد تدلى فكه فى بلاهة واتسعت عيناه روعة وذهولا ..

وجاء الدكتور ريناخ فأزاح مارتن ديل من طريقه وقال مزمجرا :

– ماذا جرى ؟ .. ما حدث ؟ ..

لكن ثورن وقف فى مكانه وقد صدر من حلقه صوت اشبه بالحشرجة ، ذلك وقد اكتست الارض والاشجار ثوبا فضيا من جليد ، وامتلأ الجو كله بندف الثلج المتساقطة ..

والذى راى ثورن القادمين يتحركان نحوه بادرهما فى صوت اجش غليظ :

– قفا مكانكما ! .. لا تتحركان بحق الرحمن ! .

فشدد مارتن ديل الضغط على مسدسه وحاول ان يزيح الطبيب من طريقه ، بيد ان هذا الرجل البدين وقف دونه كالسد المنيع .. بينما دنا ثورن منهما خطوات وهو يصرخ فيهما :

– انظرا الى .. هل انا فى حالة طبيعية ؟ .. هل تريانني جننت ؟ .

فانتهره مارتن ديل قائلا :

– املك نفسك يا ثورن ! .. ماذا جرى لك ! ؟ . لست ارى بك شيئا غير عادى .

وصاح الدكتور ريناخ فى تابعه :

– ديك ! .. هل جننت انت ايضا ؟ .

فحجب الشاب العملاق وجهه فجأة بيديه ، ثم ازالهما ونظر امامه مرة اخرى .. وقال فى صوت مختنق :

– لعل الجنون قد مسنا جميعا ! .. هذا اشد ما .. انظر بعينيك ! .

فأزاح ريناخ فى هذه اللحظة من مكانه ، فسبقه مارتن ديل الى ناحية ثورن الذى كان يرتعد .. وانضم اليهما الطبيب على الاثر .. ووقفوا يحدقون ..

وما كانوا والله بحاجة الى التحديق وانعام النظر . فقد بدا لهم ما بدا واضحا جليا لا لبس فيه ولا خفاء .. ولم يتمالك مارتن ديل ان احس بشعر راسه يقف ، وايقن فى تلك اللحظة ان هذه الظاهرة الخارقة تمشي مع الاحداث

الشاذة الغريبـة التى انسها بالامس فى هذا المكان !.

وجعل الدكتور ريناخ يلهث وهو واقف فى مكانه يحملق امامه مشدوها وهو يطرف بعينيه .. وفتحت نافذة فى الطبقة الثانية من (البيت الابيض) ، فاذا اليس هيوز تطل من نافذة غرفتها واذا هى تصرخ كما فعل غير واحد منهم قبلها ، ثم اذ بها تلزم السكون ذهولا .

فقد كان (البيت الابيض) الذى خرجوا الان منه قائما ماثلا لا شك فيه ، يلمسونه بأيديهم ويرونه رأى العين ..

اما فيما وراء هذا البيت ، حيث كان (البيت الاسود) قائما ، وهو البيت الذى وطئه مارتن ديل بقدميه بعد ظهر امس — البيت الذى كانت تفوح فيه الروائح الكريهة .. البيت المؤلف من جدران واخشاب ونوافذ الفاسدة .. ومداخن .. البيت الذى توفى فيه سلفستر هيوز ، والذى اعتصم فيه تورن مسلحا بالمدى والخناجر طيلة اسبوع .. البيت الذى راوه جميعا ولمسوه وطافوا به ..

هذا البيت لم يبق له من اثر !! ..

فلا جدران .. ولا مداخن .. ولا سقوف .. ولا اطلال .. ولا حطام .. ولا شي !!! .

لا شيء الا الفضاء المنبسط تكسوه الثلوج ..

فقد اختفى (البيت الاسود) فى الليل ! .

الفصل الخامس

وقف مارتن ديل فى الثلوج ينظر ويطيل النظر الى البقعة الخاوية التى قام عليها بالامس بيت ذو ثلاث طبقات

منذ ثلاثة ارباع قرن من الزمان ، وقد اضحى الان ولا وجود له ! .

وقالت اليس فى صوت ضعيف متخـاذل وهى فى مكانها لدى النافذة العاليـة :

— انه غير موجود .. غير .. موجود ..

وقال تورن وهو يدنو منهم :

— اذن فانا لم افقـد صوابى ، ولم يصبنى جنون ! لقـد ذهب المنزل ! ؟ ..

فقال مارتن ديل فى صوت خرج غليظا برغمه :

— هـذا هو الظاهر ..

وقال الدكتور ريناخ وقد اهتزت اوداجه :

— هذا شيء لا يصدق ! ..

— هـذا شيء لا يصـدق ! .. بل هو مسـتحيل ماديا وعلميا ! .

وراح تورن يدير حوله مشدوها قانطا .. وجعـل كيث يامن ويصخب ، ثم انثنـى يركض فى طريق السـيارات المغطى بالثلج متجها الى مكان البيت المختفى الذى بسط ذراعيه امامه كالاعمى .. فاستوقفه مارتن ديل قائلا :

مكانك ..

فوقف الشاب العملاق وهو يقول مزمجرا :

— ماذا تريد ؟ .

فدس مارتن ديل المسدس فى جيبه وانضم الى كيث قائلا :

ـ لا ادرى بالضبط .. هنالك انقلاب كبير ! .. اما ان الكون قد فقد نظامه .. او اننا قد اصبنا بالجنون .. اظن ان النظام الشمسي قد انحرف عن مداره فى هذا الكون وذهب يدور على غير هدى فى جوار الفضاء ! لا ريب انى اهذى واخلط فى الكلام ! .

فصاح كيث قائلا :

ـ انت تعلم خير منى .. اننى لن ادع هذه المسالة الغريبة تنال من عقلى ..

ـ لقد كان هنا بالامس بيت قائم فى هذه الرقعة ؛ و... كان لانسان ان يقنعنى بانه غير موجود فى مكانه .. حتى ولا عيناى ! .. ان احدهم نومنا مغناطيسيا ! .. انك فعلت هذا يا دكتور ! نومتنا مغناطيسيا ! ..

فقال الدكتور ريناغ وهو يحملق شطر البقعة الخاوية : ماذا تقول ؟

فهتف كيث غاضبا : اقرر لكم ان البيت قائم فى مكانه وان كنا لا نراه ..

فتنهد مارتن ديل وجثا على ركبتيه فى الثلج الناصع الرقيق وراح ينبش فيه باصابعه المقرورة فالكشف الحصى من تحته .. فقال دون ان يرفع راسه :

ـ هذا طريق السيارات .. الا ترون معى ؟

فقال كيث متهيجا : هو طريق السيارات او طريق جهنم .. انك قد جننت مثلنا ! .. هو طريق السيارات ما

هذا شك .. الا ترى « الجراج » بعينى راسك ؟ لم لا يكون طريق السيارات ؟ ..

فاجاب مارتن ديل عابسا وهو ينهض :

ـ لا ادرى .. انى اكاد اتعلم كل شىء من جديد ..

لعله نظام « الجاذبية » ! . لعله لا يطول بنا الوقت حتى نطير نحن ايضا فى الفضاء ! .

فقال تورن فى انين : رحماك يا ربى ! .

وقال كيث متبرما ضجرا :

ـ اؤكد لكم انه (خداع النظر) ! ..

وراح الطبيب يقول : هذا اعجب العجب ! . بيت يختفى وكانما ذاب ! .

وجعل يضحك ضحكة مختنقة لا اثر فيها للمرح ..

فقال مارتن ديل فى تبرم :

ـ ان البيت قد اختفى ولا ريب فى هذه الحقيقة .. اما انت يا كيث فما اظنك تؤمن بخرافة التنويم المغناطيسى هذه ! . على ان اختفاء البيت لا يحيرنى .. وانما تحيرنى كيفية اختفائه .. انها اقرب الى .. الى .. سحقا لهذا !! فانا لم اؤمن فى حياتى قط بالخرافات ..

وهبطت اليس الى باب (البيت الابيض) مرسلة الشعر مشتملة بمعطف فوق رداء نومها ومن خلفها مدام ريناغ قد لاحت عليهما امارات الذهول ..

فتمتم مارتن ديل مخاطبا تورن :

ـ اشغلهن بالكلام ولا تدع لهن سبيلا للتفكير حتى لا يزددن اضطرابا .. اننا سنصاب بالجنون حتما اذا لم نتظاهر على الاقل بالعقل ! . كيف ! . على بمكنسة ! .

ومضى مارتن ديل فى طريق السيارات فدار حول البيت المختفى وهو لا يرفع نظره عن البقعة التى كان فيها .. تبعه الدكتور ريناخ بعد تردد .. وانضم تورن الى المرأتين .. اما كيث فقد سار حتى اختفى خلف (البيت الابيض) .

* * *

احتجبت الشمس خلف السحب الملبدة .. ولم ينقطع تساقط الثلوج دراكا ..

وفتح مارتن ديل باب (الجراج) واطـل فى داخله .. فرأى سيارة تورن فى مكانها حيث شاهدها بالامس ، وعن كثب منها سيارة ريناخ التى جاءوا بها من نيويورك بعد ان قادها كيث الى داخل الجراج فيما يظهر ، وكلتا السيارتين فى حالة من الجفاف ظاهرة ..

فاغلق بابه (الجراج) وعاد الى طريق السيارات حيث وافاه تورن بالمكنسة قائلا :

ـ ماذا انت فاعل بها ! . اتركبها ! .

فانتهره الطبيب ، فقال لمارتن ديل ضاحكا :

ـ دعه وشأنه يا دكتور .. فانه يعيننا على التسلية .. هاهى ..

وتناول المكنسة وتقدم الى الرقعة البيضاء التى قام عليها البيت المختفى .. فوضع قدميه فوق الجليد

مترددا كأنما يتوقع ان تصطدم بالبيت المسحور .. حتى اذا لم يصادف شيئا غير الهواء البارد اللاذع ضحك ضحكة يسيرة واخذ يكنس الثلج عن وجه الرقعة طبقة طبقة وهو يفحصها باتم عناية .. فلما انكشف سطح الارض اخيرا دون ان يجد فى طبقات الثلج اى اثر لأقدام بشرية قال لصاحبيه :

ـ انها لظاهرة شيطانية ! . اصارحكم انى غلبت على امرى ..

وتركهما مارتن ديل متجها الى الطريق العام المختفى تحت الثلج حتى غاب عنهما فى منعطف من الطريق تحجبه الاشجار المكسوة بالجليد .. حتى اذا توسط الطريق الذى كان يمتد فى قوس مستطيل اخذ يعمل المكنسة من جديد لازالة طبقات الثلج عن سطح الارض .. فلم تبد له سوى آثار عجلات السيارة التى جاءت بهما من نيويورك ..

واذ ذاك سمع صوت كيث يقول له :

ـ عم تبحث .. عن الذهب ؟ ..

فنهض مارتن ديل فى تؤدة حتى واجه الشاب العملاق قائلا :

ـ اذن فقد بدا لك ان تتبعنى .. لكن معذرة .. فانت لم تفعل هذا الا بأمر الدكتور ..

فاجاب الشاب دون ان تختلج ملامح وجهه :

ـ اتبعك ! . هذه فكرة جنونية ..

وعاد ادراجهما الى البيت ، ومارتن ديل يقـــول :

ـ سمعتك تتحدث الان عن الذهب ٠٠ بديع ٠٠ لقـــد كان ثمــة ذهب في ذلك البيت .. اما الان فقـد اختفى البيت وتلاشى ٠٠ وقد نسيت أمر الذهب في اثناء الهرج الذى اقترن بمسألة اختفاء البيت ٠٠ اما الان فانى اشكرك يا مستر كيث ان عدت الى ذاكرتى موضوع الذهب ٠

الفصل السادس

جلست اليس هيوز منزوية في مقعد قرب المــدفأة وهى شديدة امتقاع الوجه ، وراحت تقـــول :

ـ ماذا حل بنا يا مســتر ديل ؟ وماذا نحن فاعلون ؟ ٠٠ هل كان أيل حلما من الاحلام ٠٠ ألم تدخل ذلك البيت وتتفقده ونلمس محتوياته ٠٠ اننى شديدة الخوف والانزعاج ؟ ٠٠

فقال مارتن ديل باسما : صبرا يا آنسة . . فسنصل الى الحقيقة حتما .. والحقيقــة بنت البحث كما يقولون ! .

وجاء كيث لتزويد المدفأة ٠٠ وما لبث ان جمع شــظايا الزجاج ودس الكتلة الخشبية في الموقدة ..

وصوب الدكتور ريناخ نظرة الى زوجتــه المنزعجــة ، فابتسمت على الاثر ، فقال مخاطبا مارتن ديل :

ـ ما رأيك يا مستر ديل ؟ . ام ترى اللغـــز عويصــا عليك ؟

ضمضم مارتن ديل : لا لغز يستعصي على الحل ، اللهم الا لغز الخليقة .. خبرنى يا دكتـــور ، هل من ســبيل لطلب المعـونة من الخـــارج ؟ .

ـ لا ســبيل الا ان تطـير ! .

وقال كيث وهو منهمك لدى الموقدة :

ـ ولا يوجد تليفون ٠٠ ثم انك رأيت حالة الطريق بعينيك، ويستحيل عليك ان تقــود سيارة فى زوابع الثلوج ٠٠

وقـــال الدكتور ريناخ ضاحكا :

ـ لو كانت هناك ســيارة حقا ! .

فقال مارتن ديل : ماذا تعنى ؟ ٠٠ فى الجراج سيارتان ٠٠

ـ سيارتان بغير وقـــود ! .

وقال نورن فجأة وكان جامدا فى مكانه ذهولا :

ـ ثم ان سيارتي بهـــا خلل .. وقد تركت سائقى الخاص فى المدينــة حين ذهبت اليهـــا فى المرة الاخيرة .. وليس بهـــا سوى قليل من البنزين .

فقال مارتن ديل وهو ينقر باصابعه على ذراع المقعد :

ـ باللنحس ! . واذن فلن يمكن ان نستقدم احــدا من العالم الخــــارجي لكى يقـــرر أن كنا مسحورين او غـــير العالم الخارجي لكى يقرر ان كنا مسحورين او غير مسحورين ٠٠ كم تبعد اقرب نقطة معمورة من هنا يا دكتور ؟

ـ اكثر من خمسة عشر ميلا ٠٠ واذا بدا لك يا مستر ديل ان تقطع المسافة سيرا فى هذه الزوابع الثلجية فلنجرب ٠

فقال مارتن ديل : وهكذا نحن معزولون عن كل اتصـــال بالعــالم .. فيالله من موقف بديع !

قالت اليس وهى تزيد اقترابا من المدفأة :

ولما غابت العجوز عن الانظار قال الدكتور ريناخ لاهثـــا وهــو يجفف عرقه :

ـ انا آسف لمـا حدث .. فهذه احدى النوبات التى تعتريهـا .. وكنت اعلم ان هـذا سيحدث لهـا بعد ان اهتمت بقدوم اليس وابدت فضولا غريبا .. فهناك شبه لمحوظ .. وليس لأحـد ان يلومهـا ..

فقالت اليس فى صوت خافت :

ـ انها .. مخيفة .. مستر ديل .. مستر ثورن هل يتحتم ان نبقى هنا ؟ انى افضل الاقامة فى نيويورك .. ثم ان البرد هنا شديد فظيع ..

فلم يتمالك ثورن ان هتف قائلا :

ـ والله انى على استعداد لاجتيــاز المسافة سيرا ! .

فقال الدكتور ريناخ باسما : وتتركون الذهب الذى خلفه سلفستر تحت رحمتنـــا ؟ .

فقالت اليس فى قنوط : انا لا اريد ميراث ابى .. بل لا اريد الان الا ان ابتعـد عن هذا المكان ثم .. ثم انى أستطيع العمل وتدبير امر معاشي ..

فقال مارتن ديل : لا مفر من ان تتشددى يا آنسة وتصبرى حتى يتيسر لنا ايجاد وسيلة للخروج من هنا ..

فغمغمت اليس وهى ترتعـــد : أصبت ..

ـ والان اريد يا ثورن ان تقص على كل ما تعرفه عن هذه القضية ، وخصـوصا ما يتعلق « بالبيت الاسود » فقــد نجد فى تاريخه بعض ما يهدينا ..

انشا ثورن يتكلم فى جفاء وتحد وهو لا يفتأ يحدج الدكتور يناخ بناظريه ..

فقرر ان شكوكه اثيرت لأول مرة بتاثير سلفستر هيوز سـه ..

ولما كاتبته اليس توكله فى قضيتها اســــتطاع بتحرياته ن يهتدى الى مقــر سلفستر وان يتصـــل به .. فنقل لى هذا الوالد الشيخ رغبة ابنته فى لقــائه ، واذا الأب تحمس لهذه الفكرة ويبدى اهتماما متزايدا للاجتماع بفتاته ، وقد بدا المحامى من مسلكه انه كان يعيش فى خوف اشـــد لخوف من اقربائه المقيمين فى البيت المجاور : البيت الابيض .

فقال الطبيب فى دهشة : خوف منـا ؟ .. انك لتعلم انه انما كان يخاف الفقر ، لفرط شحه وتقتيره ..

فتجاهل المحامى هذا الاعتراض ، واسترسل فى سرد بياناته ، فقــال ان هيوز طلب اليــه ان يستقدم اليس الى أمريكا فورا لكى يوصى لها بممتلكاته قبل ممـــاته .. وابى الرجل اباء تاما ان يرشـــد عن مخبأ الذهب الا لفتاته وحدها حتى لا يقف اقرباؤه على سره وقد قرر انهـم باتوا يطمعون فيه منذ قدومهم الى المكان ..

فقال مارتن ديل :

ـ هلا اخبرتنى يا دكتور ، لهذه المناسبة ، متى جئتم للاقامة فى هذا البيت : البيت الابيض ؟

منذ نحو سنة .. لعلك لا تصدق هـــذيان مجنون كان على عتبة القبر ؟ .. والواقع انه لا سر فى مجيئنـــــا للاقامة هنا .. فقد قدمت الى سلفستر منذ عام بعد فراق طـــويل

ـ هذا كلام لا يطابق المنطق .. ان صح ما قلت ، فعـلام سحر البيت الاسـود واختفاؤه ؟!

فاجاب المحامى فى شراسة :

ـ لا اعلم .. وانما اعلم ان الامور هنا تسير سيرا غامضا مريبا ، وان السر كل السر فى ابتسامة هذا الطبيب الكاذبة .. ان من واجبى يا آنسة ان احذرك من هؤلاء الناس ، فهم ذئاب بشرية ..

فقال مارتن ديل فى عذوبة :

ـ لنقصر كلامنا على صلب الموضوع .. لقـــد كنا نتداول فى مسالة البيت المختفى .. فهل يوجد هنا تصميم (البيت الاسود) ؟ ..

ولما اجاب الطبيب سلبا أردف مارتن ديل :

ـ من اقام فى (البيت الاسود) غير سلفستر هيـــوز وزوجتـــه ؟

فأجاب الدكتور ريناج مصححا :

ـ بل زوجتاه .. فان ســـلفستر تزوج مرتين .. لعلك لا تعرفين هـذه الحقيقة يا عزيزتى اليس ! انى امقت نبش هذه الفضائح القديمـة ، لكن مادمنا بصـدد الحقيقـة فلا مفر من بيـانها كاملة .. ان سلفستر عامل والدة اليس شر معاملة ..

فقالت اليس فى صـــوت خافت : هذا ما فهمتــه

ـ الواقع انها كانت امرأة ابية لم تصطبر على معاملته ..

بيد انها بعد ان حصلت على طلاقها النهائي وعادت الى انجلترا ، اشتد بها التأثر ، فماتت على الاثر .. اذ اطلعت على نبأ وفاتها في صحف نيويورك .

تمتمت اليس :

– توفيت وانا طفلة ..

– وقد عمد سلفستر بعد ذلك ، ولم يكن في حالة جنون ظاهرة الى اغواء ارملة غنية تزوجها وجاء بها للاقامة هنا .. وكان لها ولد من زوجها الاول .. وما زال سلفستر بزوجته الجديدة حتى نزلت له عن ثروتها الحسية ، وسرعان ما قلب لها ظهر المجن واخذ يعذبها حتى اختفت المرأة ذات يوم ومعها ولدها .. وقد علمت مصادفة بعد اعوام من هذا الحادث ان المنكودة توفيت في حالة فقر مدقع .

فقالت اليس وهي تنظر اليه في كرب :

وقال نورن مزمجرا :

– افعل والدي .. هذا ! ..

– كف عن هذا الكلام ! . فان الفتاة تكاد تصعق ! .. ما صلة هذا كله بموضوع (البيت الأسود) ؟ .

فاجاب الطبيب في دعة :

– ان مستر ديل طلب كافة البيانات ..

فقال نورن في عنف :

– كل ما يهمنا من البحث هو انك جعلت تراقبني منذ ان جئت الى هنا .. وكنت تخاف ان تتركني وحدي .

ولو دقيقة .. بل انك عهدت الى كيث في استقبالي بسيارتك في كلتا زيارتي الى هنا ، لكي ايحرسني! ولا ريب انك تحريت الا انفرد بسلفستر لحظة واحدة .. وما لبث الرجل ان انتابته تلك الغيبوبة التي لم يفق منها ابدا .. فعلام كل هذه المراقبة الدائمة والسهر المتصل ؟ .. والواقع انك هيات لي كافة العوامل لكي ارتاب فيك وفي مساعيك ! ..

فقال الدكتور ريناخ ضاحكا :

– اتهم ما شئت .. لكن هذا لا يمنع ان نتناول افطارنا ولو كانت الاخيرة قاب قوسين او ادنى ! .. بالطبع ! .

وكذلك دعا زوجته لاعداد طعام الافطار ..

الفصل السابع

استيقظ نورن وئيدا وهو يشعر بخطر خفي والغرفة قارسة البرد وطلائع الصبح تبدو من النافذة .. وامتدت يده الى ما تحت المخدة وهو يقول في لهجة الوعيد :

– قف حيث انت ! ..

فاجابه صوت مارتن خافتا :

– اذن فعندك مسدس انت ايضا ! .. هذا انا يا نورن ! .. جئت لنتشاور معك ، وبهذه المناسبة نرى انه لا يتعذر التسلل الى الغرفة ! ..

فجلس نورن بعد ان اعاد المسدس الى مكانه ، وقال متبرما :

– ماذا تقصد ؟ ..

— اري قفل غرفتك قد اختفى من مكانه ، كما اختفى قفل غرفتي وقفل غرفة اليس .. وكما اختفى (البيت الاسود) وذهب سلفستر ..

فقال تورن وهو يلف اللحاف حوله وقد اشتد شعوره بالبرد :

— وبعد يا مارتن ؟ .

فاشعل مارتن ديل سيجارة وقـــال اخيرا :

— الواقع ان هذه قضية غريبة يا تورن .. قضية امتزجت فيها الروحانيـــات بالماديات اغرب امتـــزاج .. اني كنت الان استطلع ، وقد يهمك ان تعلم ان صديقنا العملاق الشاب قد اختفى .

— كيف اختفى ؟ ..

— اني رايت فراشـــه فوجدته لم ينم فيـــه قط ..

— وقد لاحظنا ايضا انه لبث غائبا سواد امس ..

— هو ذاك يا تورن .. ان صديقنا العملاق الساخط المتبرم يغيب ويختفي فترات منتظمـــة .. فاين يذهب ؟ ..

فغمغم المحامي :

— انه لا يمكن ان يذهب بعيدا في هذه الزوابع الثلجيـــة الشنيعة .

— ان مجال التفكير متسع محدود .. ثم ان صديقنا ريناخ لم ينم في فراشه الا فترة محدودة .. فهل هـــربا معا ، او منفردين ؟ .. انها قضية شيطانية ..

فقـــال تورن وهو يرتعـــد بردا :

— اني عجزت عن فهمها ، واكاد انفض يدي منهـــا .. لم نفعل شيئا منذ ان جئنا الى هنا .. ثم هنـــاك ذلك اللغز المحير ، اعني اختفاء (البيت الاســود) .

فتنهد مارتن ديل ونظر في ساعته فالفاها الســـابعة .. فنضا تورن عنه الغطاء استعدادا للنزول مع صاحبه ..

***

خرج مارتن ديل بعد الافطار وحده لكي يلقي نظرة اخرى على مكان البيت المختفي على حد زعمه . فاذا الثلوج قد تراكمت حتى بلغت نوافذ الطبقة الارضية ، والاشجار اختفت تحتها او كادت وقد شق امام مدخل البيت الابيض طريق محدود ما لبث الثلج ان غطاه من جديد ..

ووقف مارتن ديل برهة يستنشق الهـــواء الصافي ويسرح الطرف في الرقعة الخاوية التي قام عليها (البيت الاسود) .. وما عتم ان رفع ياقة سترته وانغمر في الثلوج المتساقطة متجها الى الغابة ..

وكان سيرا شاقا لم يخل من لذة ، فقـــد شعر بالدفء بعد حين ، والدنيا من حوله بيضاء ناصعة ساكنة خامدة خابية .

وكان المشهد احفل بالجمال والمتـــاع حين افضى الى الغابة التي اكتست ثوبا غريب الاشكال والاوضـــاع .. واذ وجد امامه آثار اقدام واضحة المعالم لم يطمسها الجليد ممتدة بعيدا وكانها تفضي الى غاية معينة ، راح يتبعها مستطلعا مستقصيا وقد حدثته النفس بقرب كشف جديد .

بيد انه لم يتقدم بعيدا حتى استحال هذا العالم الناصع البياض فى عينيه الى ظلمة دامسة ، وشعر بوجهه يلامس جليد الارض المرطوب على نحو غريب ، ثم لم يعد يعى شيئا ..

***

فتح مارتن ديل عينيه .. فاذا هو ممدد على ظهره فوق الجليد وقد انحنى فوقه تورن يهزه صائحا :

ـ مارتن ؟ .. هل انت بخير ؟ ..

فجلس مارتن ديل وهو يلعق شفتيه ، وقال متأوها :

ـ الى حد ما .. ماذا اصابنى ؟ .. انى شعرت كأن صاعقة انقضت فوق رأسي ! .. وجعل يتحسس مؤخرة رأسه ، ثم عالج النهوض مترنحا وهو يقول :

ـ لا بأس يا تورن .. يبدو اننا وصلنا الى حدود الارض المسحورة ! ..

فنظر اليه المحامى فى قلق وقال له :

ـ لعلك لا تهذى ؟ ..

فتطلع مارتن ديل حواليه باحثا عن آثار اقدام كان يتوقع رؤيتها ، بيد انه لم يجد سوى آثار قدمى تورن ، وبدا له انه لبث اغائبا عن رشده فوق الجليد زمنا غير يسير .

وقال اخيرا فى لهجة ذات مغزى :

ـ معنى هذا انه محظور علينا ان نتجاوز هذه المنطقة ، والا فالويل لنا ! .. معذرة يا تورن . لعلك انقذت حياتى ؟ ..

فأجاب تورن وهو يجيل نظرة فى ارجاء الغابة :

– لا ادرى .. ولا اظن .. على انى وجدتك ممددا هن
وحدك .. وقد تملكنى اشد الجزع اذ حسبتك فارقت
الحيـــاة ..

فقال مارتن ديل وهو يرتعد :

– لقد كان هذا شيئا قريب الاحتمال .

– بعد ان ذهبت عنا صعدت اليس الى غرفتها وق
ريتاخ انه سيغفو قليلا ؛ فلم اجد احد الا ان اقـوم بجو
خارج المنزل .. ولما تذكرتك تتبعت آثار قدميك ال
كانت باقيـة فى الجليد ؛ ثم وجدتك اخيرا .. حي
انت .. اما الان فان الاثار ذهبت وانطمست ..

فقـال مارتن ديل :

– هـذه ظاهرة غريبـة ! .. فلو اننا ازاء قوة خفـ
غامضة لما تنزلت الى هذا العدوان الرخيص ..

فغمغم تورن قائلا :

– نعم .. هى الان حرب سافرة مكشوفة .. ومهما يكن
عدونا الخفى فانه لن يقف عنـد حـد .

– بل هى حرب رخيصة .. فقـد كنت تحت اطلاق رحمة
العدو الخفى ، وكان بوسعه أن يقضى على فى سـهولة
تامة و ..

وكف عن اتمام جملته حين رن فى سمعهما صدى مقذوف
نارى بعيـد ، فهتف مارتن ديل :

– هو صادر من البيت .. هلم بنا ..

وقال تورن شاحب اللون وهمـا يشقان طريقهما فى
الثلوج :

– انى نسيت مسدسى تحت الوسادة فى غرفة النوم ..
اظن ..

فدس مارتن ديل يده فى جيبه قائلا :

– اما انا فمسدسي معى .. باللشيطان ! .. ان الرصاص
قد انتزع منه ! ..

وكف عن الكلام وقد اطبق شفتيه وضغط على اسنانه ..

واذ بلغا (البيت الابيض) شـاهدا الطبيب وزوجته
والفتاة يدورون منزعجين ؛ وهتف الطبيب حين رآهما :

– اسمعتما الصوت ايضا ؟ . ان مجهولا اطلق رصاصة ! .

فقال مارتن ديل : اين ؟ ..

– لا ادرى .. فقد كنت نائما حين صـدر الصـوت ..
وقالت يالى انه ربمـا صدر من خلف البيت .. ؛

– واين كيث ؟ .

– لا اعلم اين ذهب ..

وهم مارتن ديل شطر الباب الخلفى وفتحه .. فراى
الثلوج خارج الدار ملساء لم تطرقها قدم انسان .. حتى اذا
عاد الى غرفة الجلوس استقبلته اليس بادية الانفعـال وراحت
تقول فى حرارة :

– لست ادرى الام نبقى فى هـذا البيت المروع .. انى

وجدت ما فيه الكفاية يا مستر ثورن ولابد ان تذهب
بعيدا عنه فورا ! .. لن أبقى فيه لحظة واحدة ! .

فقال ثورن فى كرب اليم وهو يأخذ يدها :

ـ الواقع انه لا احب الى من هذا يا آنسة .. الكن الان ...

أما مارتن ديل فلم يسمع بقية الحديث ، بل ارتقى ال...
مسرعا ومضي من فوره الى غرفة ثورن ففتحها وهو ...
الهواء .. وما لبث ان دنا من الفراش وهو يبتسم ابتسـ...
ذات مغزى فاخرج من تحت المخدة مسدسا عتيق الطـ...
فحص خزانته فالفاها خالية .. وفيما هو يرفع فوهته
الى انفه اذ قال له ثورن لدى الباب وقد جاءت معـ...
الفتاة :

ماذا وجدت ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يلقى المسدس جانبا :

ـ خيرا .. فنحن الان ازاء حقائق مادية ، لا خيـ...
ولا اوهام .. هى حرب كما قلت يا ثورن .. وقد اطـ...
الرصاصة من مسدسك ، فان فوهته ما تزال دافئة
ورائحة البارود لم تذهب عنها .. ثم ان الرصاص قد ...
منه ..

فقالت اليس وهى تتأوه :
ـ الكن ما معنى هذا ؟

ـ معناه ان هناك من ضايقه ابتعادنا عن البيت
فتوسل بهذه الخدعة لاعادتنا اليه .. ان الرصاصة كا...
تحذيرا وخدعة فى نفس الوقت ..

فتهالكت اليس فوق فراش ثورن قائلة : اعنى انـنا ..
فاجاب مارتن ديل : نعم .. فنحن اسرى منذ الان ..
اسرى لا يجوز ان يتجاوزوا حدود السجن .. ترى لاى
غرض ؟

وانطوى النهار دون جديد الا من تساقط الثلج .. وظهور
... حوالى الظهر وهو على عهده من السخط والتبرم ..

ولم يستطع مارتن ديل ان يذوق النوم فى ليلته لفرط
ما اجهد ذهنه فى التفكير ملتمسا تذليل هذه المعضلة
المحيرة .. حتى اذا انتصف الليل شعر بدافع خفى يدفعه
الى الخروج ، فتسلل الى البهو البارد الحالك الظلام حيث راح
يتلمس طريقه فى جهد ومشقة .. وفجأة عثرت قدمه فى
السجادة فكاد يهوى على الارض لولا ان ارتطم بالجدار ..

على انه لم يكد يستعيد توازنه حتى سمع صرخة ا...
صدرت مكتومة خافتة من ناحية غرفة اليس .. وكانت
الصرخة تشف عن اشد الجزع والتخاذل حتى لم يتمالك
مارتن ديل ان وثب شطر باب الغرفة وهو يفتش فى جيبه
عن الثقاب ..

وفى اللحظة التالية وقف فى مدخل الغرفة والعود
مشتعل بيده .. فوقع نظره على اليس جالسة فى الفراش
والغطاء حول كتفيها وعيناها تلمعان فى الضوء اليسير ..
وساعد الدكتور ريناخ فى كامل ملابسه واقفا امام دولاب
...ه ممدودة الى درج كان آخذا فى نثر محتوياته ..

وقال مارتن ديل والضوء يتراقص :

ــ ارجو ان تلزم مكانك يا دكتور . ان مسدسي فـ
رصاصه ، لكنه ما زال صالحا كاداة للضرب ذريعة ..

ودنا مارتن ديل من المائدة فوقها مصباحا قبل ا
انقلاب ، فأشعل عوداً آخر واضـاء المصباح ثم عـ
مكانه لدى البـــاب ..

وقالت اليس همســـا : اشـكرك ! ..

ــ ماذا جـرى يا آنسة ؟ ..

فاجابت الفتاة : لا .. لا اعلم .. اني لم استرح في
واستيقظت منذ برهة عندما سمعت صوتا في الممـ
ثم دخلت انت .. بارك الله فيـك ..

ــ انى سمعتك تصرخين ..

ــ افعلت هذا حقا ؟ انى .. ما معنى هذا يا سي
ماذا تفعـــل في غرفتي ؟

فارتدت يد الطبيب عن الدرج واغلقـه واعتدل في و
وقد لاحت في عينيـه امارات البراءة واجـاب قائلا :

ــ ماذا افعـل يا عزيزتي ؟ . الواقع اني ما جئت الا
اطمئن على انك بخير بعـد ان رايت اضطرابك في النهار
اصفحي عني ان كنت ازعجتك ..

فتنهد مارتن ديل قائلا :

ــ ليس هذا من البراعة في شيء يا دكتور .. بل لعـ
ادني الى التحفظ ، وهو ولا ريب وليد المفاجاة والارتباك
ان الانسة هيوز لم تكن موجودة في الدرج مهما يكن شـ

ني يطمئن عليهـا فيـه ! . هل نسلك هذا الرجل سـوء
يا آنسـة ؟

ــ كلا .. ولو انه لمسني في الظلام لمت حتمـا ..

فقال الدكتور ريناخ في استياء : يالـه من اطراء بديع !

فقال مارتن ديل : اذن عمن كنت تبحث يا دكتور ريناخ ؟

فاستدار الرجل البدين حتى واجه الباب بجانبـه الايمن ،
واجاب ضـاحكا :

ــ اني ثقيـل السـمع في اذني اليمنى .. طابت ليلتك
يا اليس .. ارجو لك احلاما هنيئة .. هلا سمحت لي بالمرور
يا سيدي ؟ ..

ووقف مارتن ديل يتفرس في الطبيب حتى غـاب عن
الانظار .. وما كاد البـاب يغلق حتى قالت الفتـاة :

ــ استحلفك بالله يا مستر ديل ان تذهب بي من هنـا
ـــدا .. انك لا تقدر مبلغ جزعي من كل .. كل هـــذا ..
كيف تحـدث هذه الامور هنـا ؟ لسنا بين قوم عقلاء يا مستر
الاديل .. وسوف نصاب حتما بالجنون اذا بقينـا هنا اكثر
من هذا القـدر فهل تذهب بي ؟

فجلس مارتن فوق حافة الفراش ، وسالها في رقة :

ــ انت شديدة الاضطراب الى هذا الحد يا آنسة ؟ .

فاجابت في صوت خافت : بل اني شديدة الرعب .

ــ اذن فســافعل غـدا كل ما يمكن ، مع نورن .. انه
خبرني ان سيارته بهـا كميـة محـدودة من البنزين ..

فنستقلها الى حيث ينفذ البنزين ، ثم نقطع باقي المسيرا .

فنظرت اليه بعينين يطل منهما الجزع ؛ وقالت

- اتظنه .. يتركنا نذهب ؟

- من ؟

- عدونا الخفي ، مهما تكن صفته

فنهض مارتن ديل وهو يقول باسما :

- سنجتاز هذه العقبة متى ظهرت لنا .. والان ارجو ان تنالي قسطا من النوم ، فان امامنا يوما شاقا غدا

- اظن انني .. انه ...

- دعي المصباح مضاء ، وضعي مقعدا تحت مقبض الباب بعد خروجي .. وبهذه المناسبة ، هل يوجد في حيازتك شيء يمكن ان يطمع الدكتور ريناخ في اخذه ؟ .

- هذا امر حيرني في الواقع ! .. ولا استطيع ان اتصور وجود مثل هذا الشيء .. فانا فقيرة يا مستر ديل ولا املك اكثر من ملابسي التي جئت بها .

- الا توجد لديك رسائل قديمة ، او وثائق ، او تذكارات

- ليس عندي غير صورة عتيقة لامي ! .

- آه ! . ما اظن الدكتور ريناخ عاطفيا الى هذا الحد . والان طاب ليلك .. لا تنسي المقعد .. ولا تخافي شيئا قط .

وما كاد مارتن ديل يعود الى غرفته حتى وجد تومن في انتظاره مرتديا جلباب نوم عتيقا ... فبادره قائلا :

- آه ! الاشباح تدرج وتطوف ! . هل جفاك النوم انت ايضا !

فأجاب المحامي الشيخ مرتعدا : وكيف النوم في هذا البيت الجهنمي اللعين ؟ .. اراك بادي المرح

فجلس مارتن ديل وقال وهو يشعل سيجارة :

- لا مرح ، بل نشاط ! سمعتك تتقلب في فراشك منذ دقائق .. فهل جد ما اخرجك من غرفتك في هذا البرد ؟

فأجاب المحامي وهو يذرع الغرفة : لا شيء .. مجرد قلق عصبي .. اين كنت ؟

فأخبره مارتن ديل بما كان ، واردف قائلا :

- ان ريناخ هذا شخصية عجيبة فذة ! . لكن لندع الاعجاب جانبا .. والمهم اننا سنضطر الى التخلي عن هذه القضية ولو مؤقتا .. ومع اني كنت ارجو .. لكن كفى .. فقد وعدت الفتاة المنكودة .. وسنغادر البيت غدا .

- لكي نموت بردا في الطريق ؟ يالها من فكرة بديعة ! . لكنها مع ذلك خير من البقاء في هذا البيت المروع الكريه .

ثم تطلع الى مارتن ديل في فضول قائلا :

- لا يسعني الا ان اصارحك بخيبة املي فيك يا مارتن .. فاين دهاؤك وعبقريتك ؟

فاجاب مارتن ديل وهو يهز كتفيه :

ــ انا لم ازعم قط انى ساحر او عالم بالغيب ! فان ما حد
هنا لهو السحر بعينه ، او احدى المعجزات .. ولس
افكر انه من العار ان تتخلى عن القضية وخصوصا فى ها
الوقت .

ــ فى هذا الوقت ! ماذا تقصد ؟ .

ــ اصارحك يا نورن انى قضيت شطرا من نهارى اقد
زناد الفكر فى هذه القضية .. واذا كان حلها النهائى ل
ينتهيا لى بعد ، فانه بات قريبا منى .

فقال المحامى وقد فغرفاه : تعنى انك ..

فقال مارتن ديل : الواقع انها قضية رائعة فريدة فى با
.. بل لعلها اروع واغرب قضية عرضت لى .. ولو ا
كنت من اهل التقوى والتدين .. لكن لا لزوم لهذا الكلام .
والقضية رغم شذوذها تتلخص فى هذه الكلمات .. فنح
ازاء ثروة ذهبية مخباة فى بيت .. ولا يلبث البيت ا
يختفى ... فاذا اردنا ايجاد الثروة ! فعلينا ايجاد البي
اولا .. واعتقد ..

فقاطعه نورن قائلا : لا استطيع ان اقول انك قمت بسع
فى هذا السبيل ، اكثر من تلك الحركات المشعوذة التى فعلت
بمكتبة كيث ! الحقيقة انك لم تفعل اكثر من الجلوس
والانتظار ! .

ــ صدقت .. الانتظار .. فالانتظار هو التعويذة ..
الرقية التى سأستدرج بها (روح) البيت الاسود .

وحسب نورن ان صاحبه يهزل او يمزح ، بيد انه الفاه
جادا كل الجد ، ولم يتمالك ان هتف به قائلا :

ــ ما هذا الكلام الفارغ !

فنهض ديل قائما وقال وهو يربت على منكب المحامى :

ــ عد الى فراشك يا صديقى .. فانك لن تصدقنى اذا
اخبرتك .

ــ بك انى استحلفك بالله ان تخبرنى يا ديل .. فانى
ساافقد عقلى اذا لم اقف على تفسير هذه القضية عاجلا .

فتنهد مارتن ديل قائلا :

ــ لو اخبرتك لضحكت منى وسخرت بى .

ــ ما بى من ميل الى الضحك والسخرية .

ــ والحقيقة ان القضية ليس فيها ما يضحك .. ولقد
قلت منذ برهة انى لو كنت من اهل التقوى والتدين لزدت
ايمانا وصلاحا بعد الذى حدث فى الايام الثلاثة الاخيرة ..
لكنى من اهل الذنوب والخطايا ! .. ومع ذلك ، فانى ارى فى
القضية « قوة » سماوية .

فقال المحامى متهجرا : ما ارى الا انك اقرب الى التمثيل
منك الى الجد ! .. لعلك تجسر ان تقول انك رايت يد العناية
الربانية ؟ .. فى هذه القضية .. لا تكفر يا رجل ، فما زلنا
على حظ من الايمان !

فغمغم مارتن ديل قائلا : يد العناية ليس هذا بالضبط

يا تورن .. اذا قدر لهذه القضية ان تحل ، فلن تحلها يد .. بل مصباح ..

ـ مصباح !؟ مصباح !؟

ـ مصباح ربانى ! .. انى شئت هـذا التعبير ـ

الفصل الثامن

اسفر اليوم التالى قاتما متجهما كسابقـه . وما برحت الثلوج تتسـاقط دراكا وكانمـا السماء تنفطر نباغا

وسلخ مارتن ديل شطرا كبيرا من النهار فى محاولة اصلاح سيارة تورن .. فلـم يوفق الى غايته الا وقـد حل عصر اليـوم ..

وانه لكذلك اذ بدا له كيث واقفا ببـاب الجـراج وفى كلتا يديه (صفيحة) كبيرة ، فبادره مارتن ديل قائلا :

ـ اراك عدت اخيرا الى عالم الانس بعـد غيابك المتكرر فى عالم الارواح ؟ .

فلم يعـد كيث ان قال بهدوء :

ـ اذاهب انت الى جهة يا مستر ديل ؟

ـ طبعـا .. هل فى نيتك اعتراض ؟ .

ـ ان هذا يتوقف على طبيعـة الجهة التى تذهب اليها .

ـ واذا اخبرتك بوجهتى ؟

ـ لتكن ما تكون .. فانك لن تخرج من هذه الارض حتى اعلم وجهتك ..

فقـال مارتن ديل باسـما :

ـ تعجبنى صراحتك يا كيث ! . لا باس .. سأريح بخبرك .. انني وتورن عائدان بالآنسة هيوز الى نيويورك ..

ـ اذا كان ذلك فلا اعتراض عنـدى .

فتفرس مارتن ديل فى محيـا الشـاب العملاق . فـاذا الجهد والقلق بادية فى اساريره ..

وما لبث كيث ان وضع (الصفيحتين) على الارض قائلا :

ـ ولك ان تنتفع بهـذا البنزين ..

ـ بنزين ! . من اين جئت به ؟

فتجاهل كيث هذا السـؤال ، وقـال :

ـ اراك اصلحت سيارة تورن .. لقـد كنت فى غنى عن هذا التعب ، اذ كان بامكانى اصلاحهـا ..

ـ ولم لم تفعـل ؟ ..

ـ لانه لم يسالنى احد ..

ودار العملاق على عقبيـه واختفى ..

وقد لبث مارتن ديل برهة عابسـا .. وما عتم ان صب البنزين فى خزانة السيارة وادار محركها وتركه دائرا ثم عاد الى البيت فقصـد الى غـرفة اليس التى كانت لدى النافذة ، فلما رآته هتفت قائلة :

ـ انك اصلحت سيارة مستر تورن يا مستر ديل ؟

فقال مارتن باسـما : انى وفقت اخيرا .. هـل اتممت استعدادك ؟

ـ نعم ! . وانا الان احسن حالا ونحن على اهبة الرحيل ..

ـ لقد رأيت بمستر كيث يجيء بالبنـــزين .. فيالها من مكرمة منه .. والحقيقة انى لم أكن اعتقد قط ان مثل هذا الشاب اللطيف ..

وتورد محياها ولمعت عيناها ، وغيرت مجرى الحديث قائلة :

ـ أتظن الرحلة ستكون شاقة ؟

ـ قد يكون السير فى الروابع الثلجية صعبا ، لكن السيارة قوية متينة البنيان .. واذا ساعدنا الحظ ..

وامسك مارتن ديل فجأة عن اتمام كلماته وقد ســـمرت عيناه فى السجادة العتيقـــة التى تحت قدميــــه وقد بدت فى نظراته امارات الدهشة ، حتى لقد سألتــه الفتاة :

ـ ماذا جرى يا مستر ديل ؟

ورفع مارتن ديل عينيـــه واجاب وهو يتنفس من اعماق رئتيـــه : ماذا جـــرى ؟ . لا شيء .. الدنيا بخير والكـون يجـــرى فى نظامه ! .

ونظرت الفتاة الى السجادة ، فما لبثت ان قالت فى رنة الفرح : آه ! الشمس ! .. ان الثلج قد انقطع يا مستر ديل .. وهذه هى الشمس تغرب امامنا ..

فقال مارتن ديل فى نشاط متقد : قد حان الوقت ايضا .. وسنسير فورا ..

وتناول حقائبها وسار الى غرفته لكى يأخذ حقيبته وهـــو يصفر على نحو غريب ..

ووقفت اليس تودع اصحاب البيت فى مرح وكأنه لم يحدث شيء غير عادى .. فتركت حقيبة يدها عـــلى الرف الى جانب صورة امها المكبــــرة وعانقت مدام ريناخ والعجوز ســـارة وابتسمت للطبيب صفحا .. ثم ارتدت من فورها الى الرف واخذت حقيبتهـــا وصـــوبت الى كيث الكاشـــف البـــال نظرة غامضة وهرولت الى الخارج مسرعة الى حيث كان تورون جالسا فى السيارة بادى البشاشة والغبطة ..

وتبعها مارتن ديل متئدا فجلس الى مقعد القيـــادة وادار المحرك ، فصاح الدكتور ريناخ وهو لدى الباب :

ـ اتعرف الطريق ؟ . در يمينـــا فى نهاية هذا الطريق (طريق السيارات) .. ثم سر امامنا بلا انحراف .. وستصل الى الطريق الرئيسى فى نحو ..

وغاب صوته فى ضجة محرك السيارة التى انســـابت بين اشارات الوداع ..

***

وارخى الليل سدوله والسيارة ماضية فى ســـيرها وئيدا مستهدية بانوارها الكاشفة القوية .. حتى اذا استوت على الطريق الرئيسى بعـــد وقت خيل اليهم انه ســـاعات ، راحت تنهب الارض نهبا ، ولم يمض وقت طويل حتى بلغوا البلدة المجاورة ..

وكان مشهد الانوار الكهربائية والشوارع المبلطة والمبانى المشيدة باعثا على اغتباط الفتاة وفرحهـــا وانتعاشها ..

واوقف مارتن ديل السيارة لدى احدى محطات البنزين ، ثم عاود السير بعد اذ تم تموينها والفتاة تعـــرب عن جزيل

امتنانها لما رأت من عطف المحامى .. على انها قطعت حديثهـا وهى تقول فى دهشة :

ـ ماذا جرى باللــه يا مستر ديل ؟

فقد اوقف مارتن ديل السيارة فى تقاطع وأسر الى الضابط القائم كلاما اجاب عليــه وهو يشير بيــده ، فمـا لبث مارتن ديل ان استأنف السير منعطفا فى شارع آخر والفتـاة والمحامى ينظران اليــه فى دهشــة ويستوضحانه غايتــه منـا ..

ووقفت السيارة عند مبنى كبير ذى انوار خضراء دلف اليه مارتن ديل وغاب فيــه نحو ربع ساعة ثم خرج منــه وهو يصفر .. فسأله نورن : ماذا جرى يا ديل ؟

فأجاب مارتن ديل وهو يستأنف السير بالسيارة : هناك مسألة يجب ان تســوى ..

وشد ما كان انزعاج الفتاة والمحامى حين الفا السيارة تعود ادراجهـا فى الطريق الذى جاءت منه .

فقـال مارتن ديل :

ـ نعم نحن عائدون الى البيت الابيض .. فان ذاكرتى حادة لا تنسى بسهولة .. وفوق هذا فمعنا مدد هـذه المرة .. ولو نظرتم خلفكم لرأيتم سيارة تتبعنـــا .. وهى سيارة بوليسية ، فيها رئيس البوليس المحلى ونخبة من رجاله .

فهتفت اليس وما زالت على انزعاجهـا : لكن لم هـذا يا مستر ديل ؟ .

فأجاب مارتن ديل فى لهجة مستطيرة : لأن لى طريقتى

الخاصة في معالجة القضـــايا وكشف اسرارها ولان الالاعيب السحرية قد يطل مفعولها ..

ـ الالاعيب السحرية ؟..

فقال ضاحكا : بل اني ساصير الان ساحرا بدورى .. لقد رايتم بيتا يختفي .. فساظهره لكم مرة اخـرى ! .

فجلسا يحملقان فيه ذهولا وقد انعقد منهما اللســـان .. وما لبث ان قـال في صـلابة :

ـ وحتى اذا تجاوزنا عن موضوع تافه كالبيوت المسحورة، فما ينبغي لنا ان نتجاوز عن جريمـة كجريمة .. القتل !!

الفصل التاسع

شاهدوا « البيت الأسود » قائما أمام أعينهم ! .

لم يكن شبحا ولا سرابا ! . بل كان بيتـا راسـخا ثابت القواعد والاركان ! .

شاهدوه قائما فى نهاية « طريق السيارات » كمـا كان من قبـــل ! .

كانت مفاجأة انعقد لها لســان الفتاة ولسان المحـامى الشيخ .. فلم يملكا الا ان يحـدقا مشـدوهين فى ظواهر هذه المعجزة الخارقة التى فاقت معجزة اختفاء البيت ! .

اما مارتن ديل فقـد اوقف السيارة ووثب الى الارض وهو يومىء الى السـيارة الخلفيـة ، ثم هرع الى « البيت الأبيض » وفى اثره رجال البوليـس ككلاب الصيد الظماى فى اعقاب الفريسة ، بينما تبعهم تورن واليس كالمسحورين

وركل مارتن ديل باب « البيت الأبيض » بقدمه ودخـل شاهرا مسدسا عامرا وهو يقـول :

ـ سلاما وتحية ! . ماذا يا دكتور ريناخ ! . الا ترحب بضـــيوفك ؟ ..

فقد جلس الطبيب البدين رافعا يده بالكاس التى كان يهم بشربها وقد غاض الدم من وجنتيــه فاستحالتا الى لون الرماد ، فى حين راحت زوجته تولول فى سريرها والعجـوز سارة تنظر فى بلاهة الا كيث الذى وقف لدى النافذة تلوح على وجهه امارات الاعجاب تمازجهـا مرارة ظاهرة ..

وانتشر رجال البوليس السرى فى المكان صـــامتين ..

وتهالكت اليس فى مقعد وهى تنظر فى جزع شديد الى وجه الدكتور رينـــاخ .. وسرعان ما صدر صـــوت يسير واذا رجال البوليس تراكضـون الى النافذة التى كان كيث واقفا بجانبها .. بيد انه كان اسبق منهم .. اذ راح يعدو فى الثلوج متجها الى الغـابة كالغزال الوحشى .. فهتف بهم مارتن ديل :

ـ لا تدعوه يفلت منكم ! .

فوثب ثلاثة رجال من النافذة فى اثر العمـــلاق الهارب شاهرى المسدسات .. واذا قصف الرصاص يسمع خارج البيت مقترنا باضواء بارقة خالطت ظلمة الليـل ..

ويمم مارتن ديل شطر الموقدة يدفىء يديه .. وعـاد الدكتور ريناخ الى مقعـده متنهدا شديد الاتئاد .. وتهالك تورن فى مقعـد آخر وقد رفع يديه الى راسـه ..

وانثنى مارتن ديل قائلا :

– لعلي اخبرك ايها الكابتن بموجز لما حدث هنا منذ وصولنا ، يسمح لك أن تستوعب ما سوف اقول ..

واذا اوما الضابط القوي ايجابا اردف ديل قائلا في تفكه :

– ولعلك تذكر يا لورن اني لأول مرة في حياتي تطلعت الى معونة سماوية .. ولا يسعني الا ان اعترف امام المتآمرين في هذه الجناية الشاذة الخارقة انه لولا فضل العناية الربانية وهدايتها لي لافلحوا في مؤامرتهم بصدد ميراث اليس هيوز ..

فقال الدكتور ريناخ :

– لقد خابت آمالي في عبقريتك ..

فتطلع اليه مارتن ديل وقال باسما :

– يؤسفني ان يكون هذا شعورك .. والان اعيروني سمعكم .. حينما وصلت الى هنا لأول مرة مع مستر لورن والآنسة هيوز كان الوقت عصرا .. ولما نظرت من نافذة غرفتي رأيت الشمس تغرب .. ولم يكن لغروب الشمس معنى خاص اذ هو ظاهرة عادية مألوفة لا يهتم بها الا الشعراء والفلكيون ومن اليهم .. ولكن لأول مرة كان غروب الشمس مسألة جوهرية لمن ينشد الحقيقة .. اذ كانت بمثابة « مصباح رباني » اعدته العناية الالهية لكي تبدد به دياجير الظلام .

واليكم البيان .. كانت غرفة الآنسة هيوز في ذلك اليوم في الجانب الآخر من « البيت الابيض » الذي فيه غرفتي .. وما دامت الشمس تغرب في نافذتي فمعنى هذا اني اواجه الغرب وهي تواجه الشرق .. والى هنا لا غرابة .. وقد اوى كل منا الى مضجعه تلك الليلة دون

[illegible] .. فلما استيقظت في الصباح الساعة السابعة اي عقب شروق الشمس في هذا الفصل الشتوي رأيت .. ماذا رأيت ، اشعة الشمس تغمر نافذتي » ..

واذ لم ينبس احد ببنت شفة هتف مارتن ديل على الأثر :

– الم تفهموا ؟! .. لقد غربت الشمس في نافذتي من اليوم السابق .. واذا بها الآن تشرق في نفس النافذة !..

ورفع الدكتور ريناخ كأسه وشرب نخب هذا الكلام تحية وتقديرا ، بينما مضى ديل يقول :

– والواقع ان مغزى هذه الظاهرة السماوية لم يسترع نظري اول الامر .. بيد اني لم البث فيما بعد ان تدبرت معناها .. ورأيت فيها علامة ربانية هدتني الى تفسير تلك الظاهرة الخارقة المدوخة ظاهرة اختفاء « البيت الاسود » بين عشية وضحاها ..

بيد انه مع ذلك لم اكن مستيقنا .. وكنت في حاجة الى تكرار هذه الظاهرة السماوية لكي يصبح حدسي حقيقة واقعة .. لكن الثلوج ما برحت تنهمر والشمس عن تحتها خلف نقاب صفيق فلم يسعني الا ان اعتصم بحبل الصبر والانتظار ريثما ينقطع تساقط الثلوج وتسطع الشمس من جديد ..

فلما طلعت الشمس بعد احتجابها لم يبق في نفسي ادنى شك .. وقد رأيتها اولا في غرفة الآنسة هيوز التي كانت تواجه الشرق عصر يوم وصولنا .. لكن ماذا رأيت في غرفة الآنسة هيوز في مغرب يومنا هذا ؟! .. رأيت الشمس « تغرب » !..

ومعنى ذلك ان غرفتها كانت تواجه الغرب فى هذا اليوم .. فكيف يمكن ان تواجه غرفتها الغرب فى يومنا هذا وقد كانت تواجه الشرق يوم وصولنا ؟ . وكيف يمكن ان تواجه غرفتى الغرب يوم وصولنا ثم تواجه الشرق يومنا هذا ؟ .. هل كفت الارض عن دورتها واضطرب نظام الكون ؟ .. ان كان هناك تفسير آخر .. تفسير ابسط من كل هذا حتى ليحير العقول لفرط بساطته ؟ .

كان التفسير المنطقى الوحيد الذى يتفق وقوانين الطبيعة والبحث العلمى هو انه فى الوقت الذى كان يبدو فيه ان البيت الذى كنا اليوم فيه والغرف التى اقمنا بها هو الظاهر فى نفس البيت والغرف التى نزلنا بها يوم وصولنا ، فانها فى الواقع لم تكن كذلك .. اللهم الا اذا قلنا ان هذا البيت نحن فيه والآن قد ادير فى مكانه كما تدار بيوت الاطفال حول العصا ، وهذا محالا يسلم به عاقل ، والنتيجة انه غير البيت .. وصحيح ان مظهره متشابه فى الداخل والخارج : وبه نفس الاثاث والسجاد والزخارف . ولكنه بيت آخر .. بيت مطابق للبيت الاول فى كافة دقائقه وتفصيلاته مع فارق واحد : هو موقعه الارضى بالنسبة الى الشمس ..

واسمعوا الان التفسير العملى الذى يقر كل شىء فى نصابه .. اذا كان هذا « البيت الابيض » الذى كنا فيه اليوم ليس هو نفس (البيت الأبيض) الذى نمنا فيه ليلتنا الاولى ، وانما هو بيت مطابق له فى موقع آخر بالنسبة الى الشمس ، فالنتيجة هى ان البيت الاسود الذى اختفى ظاهريا لم يختف اطلاقا .. بل بقى حيث كان قائما .

ان البيت الأسود لم يختف ، بل نحن اللذين اختفينا ! .

ان البيت الاسود لم ينتقل من مكانه ، بل نحن الذين انتقلنا ..

لقد نقلنا فى اثناء ليلتنا الاولى الى مكان آخر متشابه فى الغابات المحيطة به ، وفى (طريق السيارات) الذى ينتهى بجراج ؛ وفى الطريق العام الممتد قربه ..

اجل ، متشابه فى كل شىء ، الا فى عدم وجود « البيت الاسود » بجانبه ، بل تجاوره بقعة خاوية ..

لابد اننا نقلنا اذن ، اشخاصا وامتعة ، الى هذا « البيت الابيض » المتشابه : فى خلال ساعات نومنا فى ليلتنا الاولى ..

نقلنا جميعا ومعنا صورة والدة اليس التى كانت موضوعة على رف المدفأة ، ونفس اقفال ابواب غرفنا حيث كانت الاقفال ، وحتى نفس شظايا زجاجة الويسكى التى حطمت فى تلك الليلة على تلك الصورة التمثيلية البارعة فوق جدار المدفأة فى البيت الاصلى — نقل هذا كله الى البيت المتشابه ، امعانا فى ايهامنا باننا فى نفس البيت الاصلى اذا طلع النهار .

فقال ريناغ باسما :

— ياله من خيال خصب رائع ! .

فقال مارتن دبل :

— وانها لخطة بديعة محبوكة الاطراف ، تشف عن العبقرية والتفرد ! . بل انها كانت منسقة مع المنطق حالما وفقت الى مفتاح حلها .. انظروا معى ! . ما دمنا قد نقلنا ليلا دون علمنا فمعنى هذا ان مهمة النقل تمت ونحن غائبون عن الرشد .. ولقد تذكرت انى وثورن لم يتناول كلانا من

الشراب سوى كأسين ، شعرنا بعدهما فى الصباح بصداع وخدر فى اللســـان .. فأيقنت ان هذا وليـــد مادة مخدرة خفيفة ... وقد اعد الشراب فى الليلة السابقة بيد الدكتور ريناخ طبيب وعقاقير المعنى بسيط ظاهر للعيـان !.

فراح الدكتور ريناخ ينظر متفكها الى ضـــابط البوليس القـوى ، بيد ان هذا لبث فى مكانه جامدا عابســا ، بينا استرســل مارتن ديل قائلا :

ـ لكن هل فعل الدكتور ريناخ كل هذا وحده ! .. كلا .. مستحيل ! .. فرجل واحد لا يستطيع ان يتم هذه المهمة الكبيرة فى ساعات قلائل محدودة . وبعبارة اوفى لايستطيع وحده ان يعد سيارة تورن ، ثم ينقلنا مع حقائبنا وملابسنا بالسيارة من (البيت الأبيض) الأصلى الى شبيهه وشبيهه له يدخل السيارة الى « الجراج » ، ثم يحملنا الى غرف نومنا ، ثم يرتب ملابسنا فى مواضعها الاولى ، ثم ينقـل الصورة وشظايا الزجاج الى مكانها المماثل .. وهكذا وهكذا .. هى عملية ضخمة حتى ولو اعد شطر كبير منهـا قبل مجيئنا .. ولا ريب انهـا من عمـل افراد متعددين مجتمعين .. او من عمل شركاء متعاونين .. ومن يكونون الا من بالبيت جميعا ؟ . باستثناء العجوز سارة التى لا يعقل ان لها مصلحة مفهومة فى كل هذا ..

ثم اردف مارتن ديل وقد لمعت عيناه :

ـ واذن فانى اتهمكم جميعـا ، ومعكم كيث الذى احسن صنعا بافلاته ، أتهمكم بالاشتراك فى المؤامرة المدبرة لمنع الانسة هيوز من الاستيلاء على البيت الذى اخفيت فيه ثروة ابيها ! .

قال الدكتور ريناخ وقد شبك يديه فوق صدره :

ـ ما ابدع هذه القصة الخيالية التى لم ار مثيـلا لها فى عالم القصص ! . ولا ريب ياكابتن انك لا تصدق هذه الرواية المختلفة ؟ وعندى ان مستر ديل فقد صوابه ، بتأثير خيال عـــارض .

فتنهـد مارتن ديل قائـــلا :

ـ هذا كلام لا يليق بك يادكتور .. ان الدليل على صحة كلامى هو اننا هنا ، فى هذه اللحظـــة

فقال رئيـس البوليـس الذى لم يفهم تماما :

ـ عليك ان تفسر لنـــا هذا ..

ـ اعنى اننا الان فى « البيت الابيض » المتشابهة .. والواقع اننا لم نكد نرحل هذا المساء حتى عاد هؤلاء جميعا الى هنـــا .. فان البيت الابيض المتشابه قد ادى مهمته وامسوا فى غير حاجة اليه .

والان استمعوا لهذه الخدعة الجغرافية .. فان كلا البيتين الابيضين له طريق سيارات يتفرع من الطريق الرئيسى ، واحدهما يتفرع قبل الثانى بنحو ستة اميال .. ولما جاء بنا الدكتور ريناخ من رصيف الميناء تجاوز عامدا طـــريق السيارات المؤدى الى البيت المتشـــابه دون ان نفطن اليـــه ومضى فى سيره حتى جاء بنـــا الى هنا .. اى الى البيت الاصـــلى .

وقد عطلت سيارة تورن عمـــدا للحيلولة دون قيادته اياها .. فان قائد السيارة يرى ويحفظ من معالم الطـريق مالا يراه الركاب .. بل ان كيث رافق تورن فى زيارتيـــه الاوليين لسلفستر هيوز لارشـــاده الى الطريق « ظاهرا » ولتحويل نظره عن معالمه « حقيقة » .

ثم ان الدكتور ريناخ هو الذى قاد بنا السيارة الى هنا يوم وصولنا .

وقد سمح لى بقيادة السيارة هذه الليلة فى رحلة كانوا يرجون الا رجعة بعدها لأننا بدانا الرحلة من البيت المتشابه وهو الاقرب اتصالا بالطريق الرئيسى وبالبلدة .

وكذلك لم يكن ثمة خوف من ان نمر « بطريق السيارات » الاخر فتثار شكوكنا .. وكانوا مطمئنين الى اننا لفرط انشغالنا ان نفطن الى قصر مدى الطريق نسبيا .

فقال رئيس البوليس :

ـ لكن حتى اذا سلمنا بكل هذا ، فلست ارى فائدة يجنونها من ورائه .. اذا ما كان لهم ان يطمعوا فى خداعكم والتغرير بكم الى الابد

فهتف مارتن ديل قائلا :

ـ صحيح .. لكن لا تنس انهم كانوا يأملون الا نفطن الى حقيقة الخدعة الا وقد وضعوا ايديهم على ثروة سلفستر واختفوا بها .. الا ترى ان الخدعة كلها قامت على الرغبة فى كسب الوقت ؟ .. الوقت اللازم للتنقيب فى داخل « البيت الأسود » المجاور لوجد تبوه الان خرائب وانقاضا من الداخل . وهذا هو تفسير اختفاء كيث وريناخ المتكرر فقد كانا يتناولان الاختلاف الى « البيت الاسود » ينبشان ويحفران بحثا عن مكان الكنز الذهبى ، بينما نحن باقون فى « البيت الابيض » المتشابه تستغرق اهتمامنا ظاهرة خارقة شاذة .. ولعل فى هذا تفسير حادث الاعتداء على فى الالقابة بالورن ، اذ تسلل شخص ما ـ لعله الدكتور

ريناخ ـ من تحت الفك ولطمنى فوق راسى حين سولت لى نفسى ان اقتفى آثار كيث فى الثلوج .. فانه كان لابد من منعى من الوصول الى « البيت الابيض » الاصلى ، والا انكشف الخداع .

فقال نسوردن مزمجرا :

ـ واين الذهب الان ؟ ..

فهز مارتن ديل كتفيه قائلا :

ـ اعتقد انهم وجدوه وحملوه الى مكان ما .

فقالت مدام ريناخ نادبة مولولة :

ـ لكننا لم نجده ! .. الم اقل لك ياهربرت ان ..

فانتهرها الزوج قائلا :

ـ يامغفلة ! .. يابهيمة ! ..

فقال رئيس البوليس مخاطبا ريناخ :

ـ الآن كنت لم تجد الذهب ، فلم تركت هؤلاء الثلاثة يذهبون الليلة ؟ ..

فلم يجب الطبيب ، بل تشاغل باحتساء كاسه .. فتبرع مارتن ديل بالجواب قائلا :

ـ ان الجواب على هذا هو اساس القضية .. بل هو شر عنصر فيها وافدح جانب منها .. وما كان الخداع الذى رايتموه الا عبثا بالقياس اليه .. لأنه يشمل مسألتين لاعلاقة بينهما فى الظاهر ، اعنى « اليس هيوز » وجناية قتل ..

فقال رئيس البوليس :

ـ جناية قتل ! ؟ .

وقالت اليس في اضطراب : يشملني ! ؟ .

فاشعل مارتن ديل سيجارة والتفت الى دنيس البوليس قائلا :

ـ حينما وصلت اليس جيوز معنا في اليوم الاول ذهبنا جميعا الى « البيت الاسود » .. وقد عثرت في غرفة والدها على صورة قديمة تمثل امها في صباها ـ وانا لا ارى الان هذه الصورة هنا ، ومعنى هذا انها لا تزال في البيت الابيض المتشابه .. وما كاد يقع نظر اليس على الصورة حتى انقضت عليها انقضاض الجائع على الطعام ، معللة هذا بانها لا تمتلك غير صورة واحدة قديمة لأمها ، وقد بلغ من اعتزازها بهذه اللقية الجديدة التي عثرت عليها من حيث لا تحتسب : انها حملتها معها من فورها الى البيت الابيض اى الى هذا البيت .. وقد وضعتها على رف هذه المدفأة في مكان ظاهر ..

على انها حينما هربت معنا من البيت المتشابه في هذه الليلة هروبا كان يبدو الا رجعة بعده « تجاهلت كل الجهل صورة امها » ، ذلك التذكار العزيز الذى كادت تجن به فرحا في اليوم الاول وما كان يصح انها نسيته في اضطراب الموقف ان ساغ هذا التعبير ، وهى قد وضعت حقيبة يدها على رف المدفأة قبل خروجها ببرهة وجيزة الى جانب الصورة .. بل انهـــا عادت على الاثر الى الرف لاسترجاع حقيبتها ، ولكنها تجاوزت الصورة واخذت الحقيبة وحدها دون ان تلقى عليها نظرة وما دامت قد قررت بلسانها من قبـــل ان الصورة عندها قيمة ادبية لا تقدر ، فقد كان ينبغى الا تغفل عنها اطلاقا وان تكون اخر شيء تنساه .. بل ما دامت قد اخذت الصورة في اول مرة فقد كان يجدر ان تاخذها عند الرحيـــل ! ...

فلم يتمالك لورن ان هتف به قائلا وهو يحملق في وجه الفتاة التى جلست بسمرة في مقعـــدها لا تكاد تتنفس : ماذا بالله تقصد بهذا الكلام ؟ !

فاجاب مارتن ديل في ايجاز : اقصد اننا اصبنا بالعمى .. اقصد ان التضليل لم ينحصر فقط في ابدال بيت ببيت .. بل تجاوزه الى ابدال امرأة بامرأة .. انني اقرر ان « هذه الفتـــاة ليست هى اليس هـــوز ! . »

فخيم سكون مطبق لم ينبس خلاله احد ببنت شـــفة ولم يبدر فيه ادنى حركة .. وما لبثت الفتاة في نهايته ان رفعت نظرها وقالت وهى تتنهد بقوة :

ـ انني فكرت في كل شيء الا هذه المسألة .. وقد كان كل شيء يسير على اجمل ما يرام ..

فقال مارتن ديل بلهجته الساخرة الخفيفة :

ـ الواقع انك نجحت في استغفالنا الى ابعد حد .. وما ذلك الموقف التمثيلى الذى حدث في غرفتـــك امس الا مصداقا لكلامى .. انى اعلم الان ما حدث .. فان الدكتور ويناج قد ذهب خلسة الى غرفتك في منتصف الليل لابلاغك تطورات البحث والتنقيب في البيت الاســود ، او ربمـا لاقناعك بوجوب الالحاح على لورن على الرحيل اليوم مهمـا يكن الثمن .. وقد تصادفَ مرورى في البهو في تلك اللحظة حيث عثرت قدمى في الظلام واصطدمت بالجدار في صـــوت مسموع .. واذ كنتما لا تعلمان مصدر الصوت او من يكون فسرعان ما اصطنعتما ذلك الموقف التمثيـــلى البارع .. ان المسرح خسر فيكما ممثلين مجيدين ..

تجلس الدكتور ريناخ مغمض العينين .. اما الفتاة فغمغمت في لهجة الاعياء والتحدى :

- الواقع يا مستر ديل انى قضيت بضعة اعوام من حياتى على خشبة المسرح ..

- كلاكما شيطان مريد .. وما كانت هذه المؤامرة الجهنمية الا ثمرة الخيال الشرير والعقلية الآثمة .. ولقد كنت تعلمين ان اليس هيوز غير معروفة لاحد هنا الا بصورها .. وفوق ذلك فهناك مشابهة قوية بينك وبينها كما شهدت بذلك الصور .. وكنت مطمئنة الى ان اليس هيوز لن تبقى فى صحبتى مع لورن اكثر من ساعات قلائل اغلبها بين جـــدران السيارة القائمـــة ..

وغير مارتن ديل لهجته .. فراح يقـــول فى صرامة : ان « اليس هيوز » جاءت لأول مرة الى هذا البيت واختفت حين صعدت الى غرفتها مع مدام ريناخ .. ونزلت انت بدلها تمثلين دورها وتتقمصين شـــخصيتها .. انت التى اختفيت عمداً من عينى لورن طيلة الايام الستة الماضية لكى لا يعلم شيئا من وجودك ! .. انت التى استنبطت فى اغلب الظنون هذه المؤامرة الشيطانية حين جاء لورن بصور «اليس هيوز» ورسائلها المفصلة الى هنـــا ! .. انت التى كان لك من مشابهتك الطبيعية لأليس هيوز ما هيأ لك انتحال شخصيتها بنجاح فى نظر شخصين غريبين عنهـــا !

واصارحك انك بدوت غريبة فى نظرى الى حد ما عنـــد نزولك لتناول طعام العشاء فى تلك الليلة ؛ بيد انى قدرت ان اختلاف مظهرك اليسير راجع الى تغيير هندامك وتجملك بعد طول السفر .. وطبيعى انى كلما رايتك بعد ذلك بعد العهد بينى وبين « اليس هيوز » الحقيقة وقل احتمـــال

شكى فى شخصيتك .. ولم يكن ثمة من خطر عليك الا من ناحية العجوز سارة ، التى قدمت لنا مفتاح اللغز كله حين رايناها لأول مرة .. فانها حسبتك ابنتها «اوليفيا» ولها الحق كل الحق .. فانك « لانت ابنتها اوليفيا » !

* * *

راح الدكتور ريناخ يرشف كأسه فى غير اكتراث تام .. وجلست العجوز تحدج الفتاة ببلاهة .. بينمـــا مضى مارتن ديل يقـــول :

- بل انك توقيت هذا الخطر اذ عهدت الى الدكتور ريناخ ان يحدثنا فى الوقت المناسب عن اوهام العجوز سارة وعن تلك القصة الزائفة التى دارت حول وفاة « اوليفيا » فى حادث سيارة منذ اعوام .. فيـــا للبراعة .. والواقـــع ان الخداع كان تاما بالغا حد الكمال الى حد ان العجوز نفســـها انخدعت بالاختلاف فى صوتك وشعرك وهما عاملان بارزان فى اثبات الشخصية .. واؤكد لك ان هذه البراعة الخارقة كانت جديرة ان تستأثر باعجابى ، لولا شئ واحد .

فقالت اوليفيا بهدوء : انك داهية جبار .. ماذا تعنى ؟

فدنا مارتن ديل منها ووضع يده على منكبها قائلا : ان اليس هيوز اختفت واخذت انت مكانها .. فلم فعلت هذا ؟ الجواب ، لسببين .. الاول : لابعادى انا ولورن عن منطقـــة الخطر فى اقرب وقت ، والعمل على استمرار بعـــدهما بعدولك عن المطالبة بالميراث او استغنائك عن خدماتنا والثانى ابلغ من الاول أهمية ، وينحصر فى هذا .. فانه اذا لم يفلح شركاؤك فى ايجاد الكنز الذهبى بقيت شـــخصيتك المنتحلة بوصفك اليس هيوز ، وتسنى لك ان تتصرفى فى « البيت الاسود » كما تشـــائين .. ومتى وجد الذهب كان لـــك ولشركائك خالصـــا .

على انه لم يكن بد لضمان استيلائك على ميراث « اليس هيوز » ان تبقى صاحبة الشخصية الحقيقية مختفية الى الابد .. ان تموت ! ..

واختتم مارتن ديل كلامه وهو يقبض على منكب الفتاة قائلا : وهذا ما جعلني اقول ان هناك مسألة لابد من تسويتها غير اختفاء البيت .. فان « اليس هيوز » قد قتلت ..

في هذه اللحظة سمع في الخارج صياح متعال ما بث ان انقطع كما بدا .. بينمـــا اردف مارتن ديل قائلا : قتلت « اليس هيوز » بيدي ذلك الشريك الذي لم يكن في البيت حين نزلت هذه المخادعة العشاء في تلك الليلة الاولى .. اعني ديك كيث ، ذلك القاتل المأجور ، وان يكن هؤلاء جميعا شركاء في جناية القتل ..

واذ ذاك صدر صوت من النافذة يقول : ما هو بقاتل مأجور فاستداروا جميعا فجأة مشدوهين .. فقد راوا رجال البوليس الثلاثة الذين وثبوا من النافذة منذ امد قصير ، واقفين عن كثب منها ، وامامهم رجل وامراة .. وقد راحت المراة تقول :

— ماهو بقاتل مأجور ! فذلك ما كانوا يحسبـــونه ! .. لكنه بدلا من ان يكون قاتلا ، وبغير علمهم ، انقذ حياتي .. رعاك الله ياديك ! .

وسرعان ما اغبرت وجـــوه المتآمرين .. فقـــد وقفت « اليس هيوز » بجانب كيث وكانت صورة مقاربة للفتاة الجالسة بداخل الغرفة ؛ الا في بعض الفوارق الظاهرة .. وقد بدت نحيلة عابسة ، ولكنها كانت تتأبط ذراع ذلك كيث في سعادة بالغة .

الخاتمة

قال مارتن ديل لصديقه تورن بعد ان تهيا لهما الوقت لاستعراض هذه القضية الغريبة وفهمها على حقيقتها :

— الواقع ان المؤامرة كلها ما كانت لتتم لولا شـــيئان : شخصية « اوليفيا » ووجود ذلك البيت الابيض المتشابه في الغابة .

وكان يسوغ لبطلنا مارتن ديل ان يقول ايضا ان المؤامرة ما كانت لتتحقق لولا تلك اللوثة العقلية الغريبة ، الوراثية في اسرة هيوز ! .

فان والد سلفستر هيوز — وما كان الدكتور ريناخ الا ربيبه — كان بعقله خلل ورثه عنه ولداه التوأمان : سلفستر وسارة ، اللذان كانا ابدا متحاسدين متنافرين .

ولما تزوجا في شهر واحد تحاشى ابوهما الخلاف بان اهدى كلا منهما بيتا بنى خصيصا لهذه المناسبة وجعل البيتان متشابهين متطابقين ، ظاهرا وباطنا ، وقد اقيم احد البيتين قرب بيت الاب واهدى الى سارة لمناسبة زواجها ، واقيـــم البيت الثاني في قطعة ارض يمتلكها الاب على مسافة اميال من الاول واهدى الى سلفستر .

ولما توفى زوج ساره في ربيع حياتهما الزوجية انتقلت للاقامة مع اخيها التبني : الدكتور ريناخ .. وبعد وفاة هيوز الاب اوصد سلفستر بيته الخاص وانتقـــل للاقامة في بيت العائلة .

وكذلك قام البيتان المتشابهان اثرا ناطقا بشـــذوذ افراد هذه الاسرة ؛ لا يفصل بينهما سوى اميال معدودة ، وكلاهمـــا مزود بالاثاث الكامل المتشـــابه ! .

ثم وسوس الشيطان لأوليفيا ذات المكر والدهاء وسول لها ما سول ! فاغرت من معها بالانتقال الى البيت الابيض المجاور للبيت الاسود لمضايقة سلفستر هيوز او للسطو عليه .

ولما جاء تورن ينبأه فتاة سلفستر بعد طول احتجابها فطنت اوليفيا الى الخطر الذى يهدد خطتها حتى اذا انتبهت الى المشابهة الفريدة بينها وبين ابنة خالها الانجليزية ، نبتت فى ذهنها تلك المؤامرة الشيطانية الفريدة .

وكانت الخطوة الاولى فى سبيل التنفيذ هى اغراؤها الدكتور وبناخ بقتل مريضه سلفستر قبل وصول ابنته .. وقد اثبت التشريح الطبى الذى اجرى فى جثة سلفستر عند استخراجها من القبر فيما بعد : انه توفى مسموما .. وفى خلال ذلك راحت اوليفيا تتدرب على خطة المشابهة والانتحال التى اعدتها ..

ولم تفكر « اوليفيا » فى « خداع البيوت » الا تضليلا لعينى تورن ، حتى ينشغل بهذه الظاهرة بينما يدور البحث والتنقيب فى جوانب « البيت الاسود » طلبا الذهب .. وما كان هذا الخداع الا مهمة سهلة ويسيرة والبيت الابيض المشابه موجود وقائم تام الاثاث .. وما كان يقتضيها الا ان تفتح للهواء والشمس وان تتولاه بالنظافة والعناية .. وقد انفسح امامها الوقت لاتمام هذه المهمة قبل وصول اليس هيوز ..

على ان نقطة الضعف فى هذه المؤامرة البارعة تجلت بعد ذلك فى اختيار ديك كيث للقضاء على اليس هيوز ..

وقد انضم هذا الشاب العملاق الى زمرة المتآمرين كمغامر لا يتردد فى القيام بكل ما يراد منه متى استؤجر بسخاء .. على انه لم ينضم اليهم اعتباطا ، فانه كان ابن زوجة سلفستر الثانية التى اضطهدها وعذبها حتى فرت منه مع ولدها ثم باتت بعد ذلك فى فقر وبؤس الجحيم ..

ولم تمت الام فى الواقع حتى غرست فى صدر كيث بذور الحقد على اسرة هيوز ، وان يكن هذا الحقد قد تلاشى من نفس الفتى بمر الاعوام ..

وكان كيث يرمى بانضمامه الى عصبة المتآمرين الى البحث عن ثروة زوج امه واسترداد حصته الشرعية من هذه الثروة التى اغتصبها سلفستر من امه فى حياته ، ولم يضمر هذا الشاب قط ان يقتل « اليس هيوز » كما زعم لرفاقه ظاهرا ..

والواقع انه حين حملها من البيت فى تلك الليلة الاولى تحت انف تورن ومارتن ديل لم يفعل ذلك بقصد اغتيالها واخفاء جثتها كما نفذته اوليفيا من قبل ، بل لكى يخفيها فى كوخ قائم بين الغابات المجاورة لم يكن يعرفه الا هو ..

وكان يختلس الفرص لتهريب الطعام اليها وهو يقوم بنوباته فى التنقيب فى « البيت الاسود » وكان يعاملها فى اول الامر معاملة الاسيرة معتزما ان تمضي فى هذا المسالك حيالها حتى يوفق الى ايجاد الذهب او اخذ نصيبه منه ثم يركن الى الفرار ..

بيد انه ما لبث ان وقع فى شراك غرام اسيرته ، وبا لها بقصة المؤامرة من الفها الى يائها .. وقد زالاته رقه

الفتاة وعطفها عليه شجاعة . فاقنعها بلزوم مكانها حرصا على سلامتها حتى يوفق الى إيجاد الكنز وخداع شركائه ، ثم يواجها اوليفار معا ويفضحا حقيقتها ..

على ان وجه السخرية ، كما قال مارتن ديل ؛ هو ان الهدف الذى قام عليه كل هذا التآمر ، وهو الكنز الذهبى الذى خفاه سلفستر هيوز ، بقى محجوبا عن العيان ، بعيدا عن طائلة الايدى .. فانه رغم البحث والتنقيب الدقيقين فى « البيت الاسود » ، وما جاوره لم يتسن الاهتداء الى الذهب المرموق ..

فقد قال مارتن ديل باسما وقد اجتمع باصحابه بعد بضعة اسابيع :

ـ انى دعوتكم الى مسكنى المتواضع بعد ان خطر لى راى وجدت المنطق يقضى بتحقيقه وتمحيصه ..

فراح كيث واليس ولورن يتبادلون النظر فى سكون وقد استقروا فى مقاعدهم .. وما لبث كيث ان قال باسما :

ـ يسرنى ان اجد عندك رايا فى الموضوع .. فانى فى فقر مدقع .. واليس تفوقنى فقرا .. !

فقال مارتن ديل فى جفاء :

ـ انك لا تنظر الى المال لك النظرة الفلسفية التى عهدناها فى الدكتور ريناخ .. سامحه الله .. ترى كيف وجد طعم السجن ؟! ..

الآن لنتكلم فيمـــــا دعوتكم اليـــه .. فانه بعـد ان لم نجـد اثرا لذلك الذهب المزعوم ، لم يبق الا ان نعالج الموضوع باسلوب آخـــر .. هل ينقص الان من بيت سلفستر هبزر شيء كان موجـودا به حال حيـاته ؟ .

فنظرت اليس الى اللفـافة الموجـودة في حجـرها قائلة : اذن هذا هو الذي حملك على ان تطلب الى استحضار هذه الاشياء معي اليوم ..

وهتف كيث :

ــ تعني ان سلفستر قد تعمد تضليل الاذهان حين صرح أن ثروته مؤلفـة من الذهب ؟

فضحك مارتن ديل وتناول اللفافة من الفتاة وفكها ولبث برهة يتأمل الصـورة الكبيرة ذات الاطار التي تمثل والدة اليس في صباها .. وما عتم اخيرا ان نزع ظهر الاطـار في حـركات الواثق المطمئن ، فاذا اوراق ملونة زاهيــة تتساقط في حجره ، واذا هو يقـول باسما : ثروة من اسهم ومستندات .. !! من قال يا آنسة ان اباك كان مختل العقل ؟ انه كان آية في العقل وبعد النظر ..

هلم بنا يا نورن ، ولنـدع هـذين الخطيبين السعيدين المجدودين وحدهمـا !

تمت